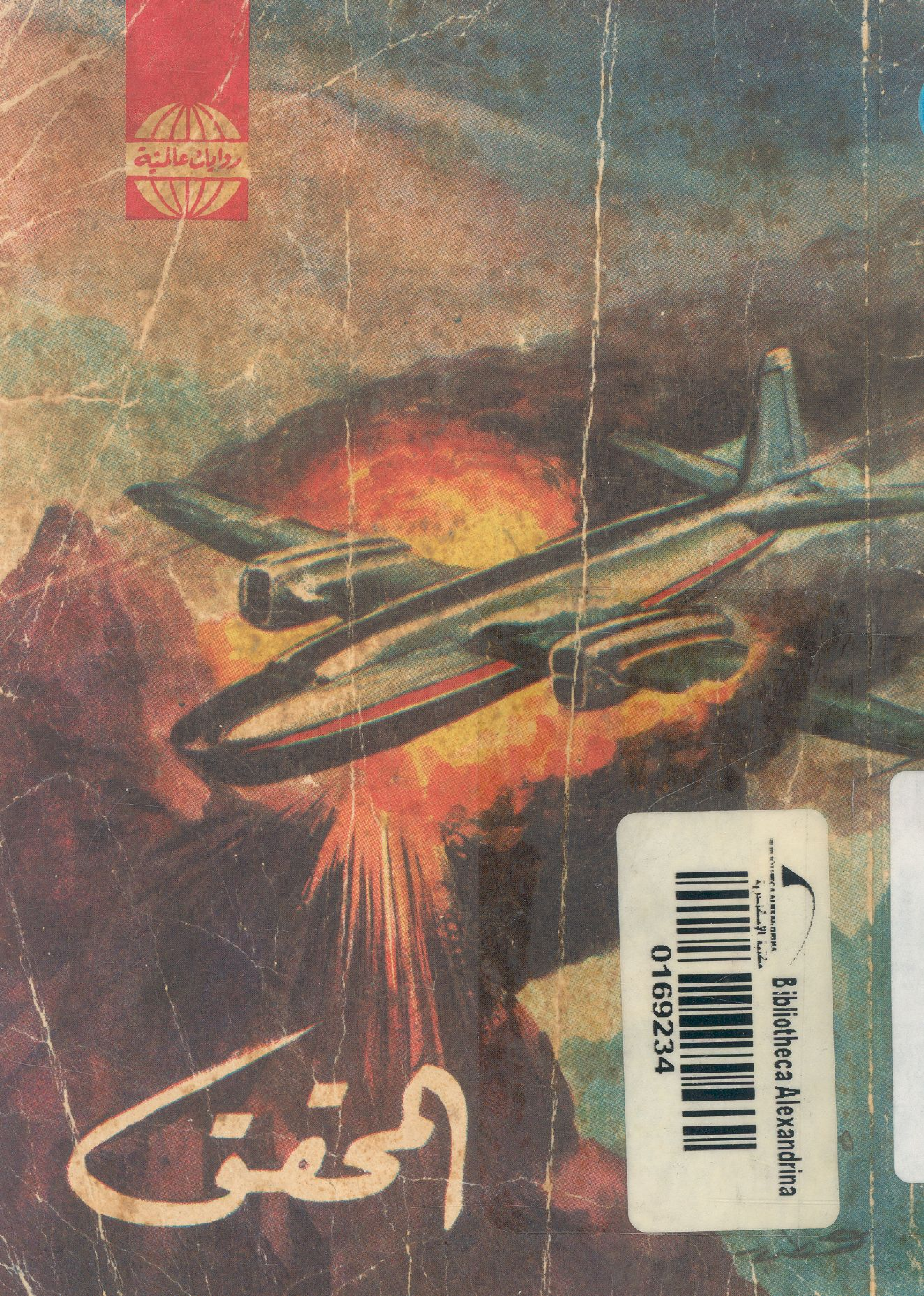
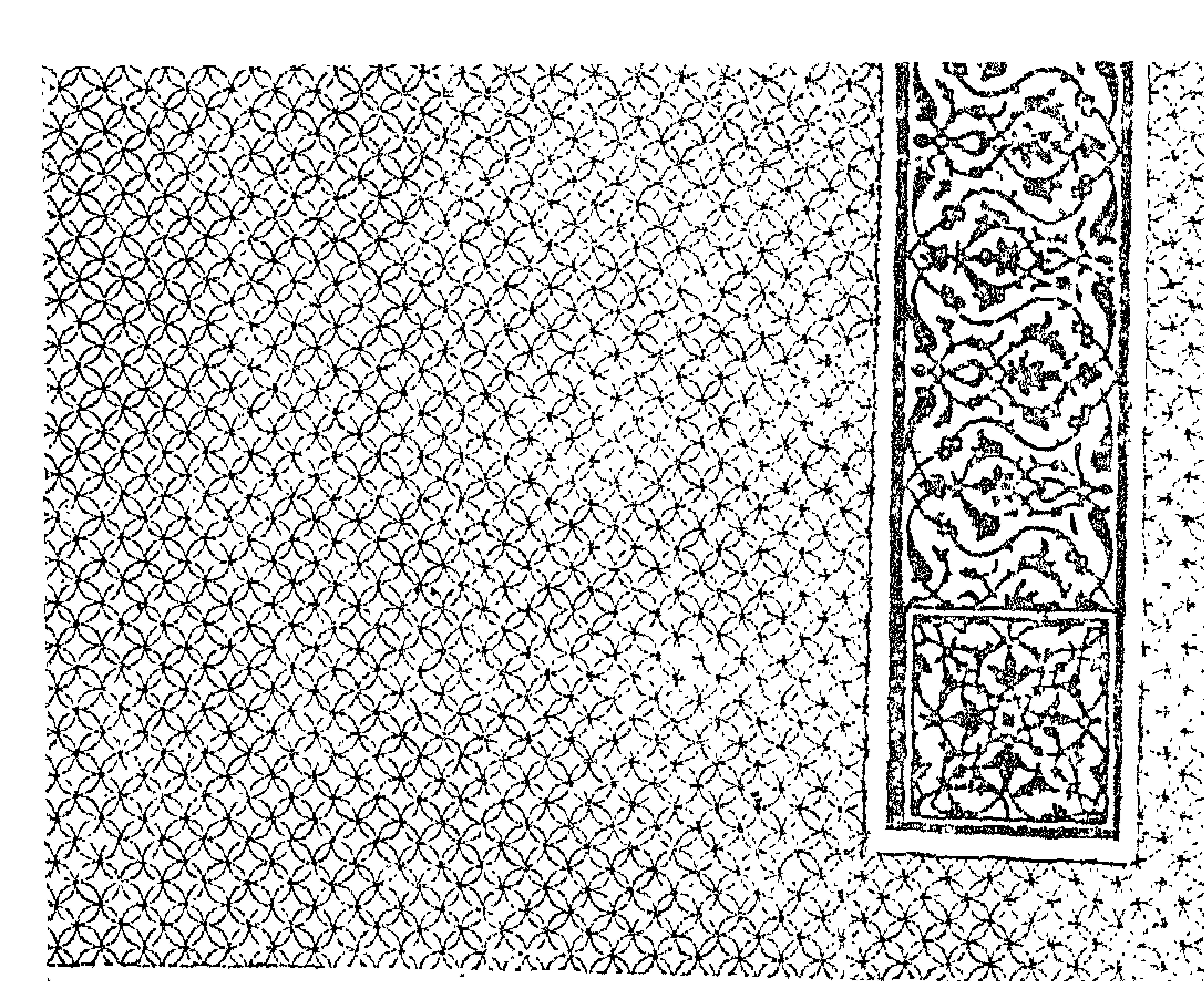
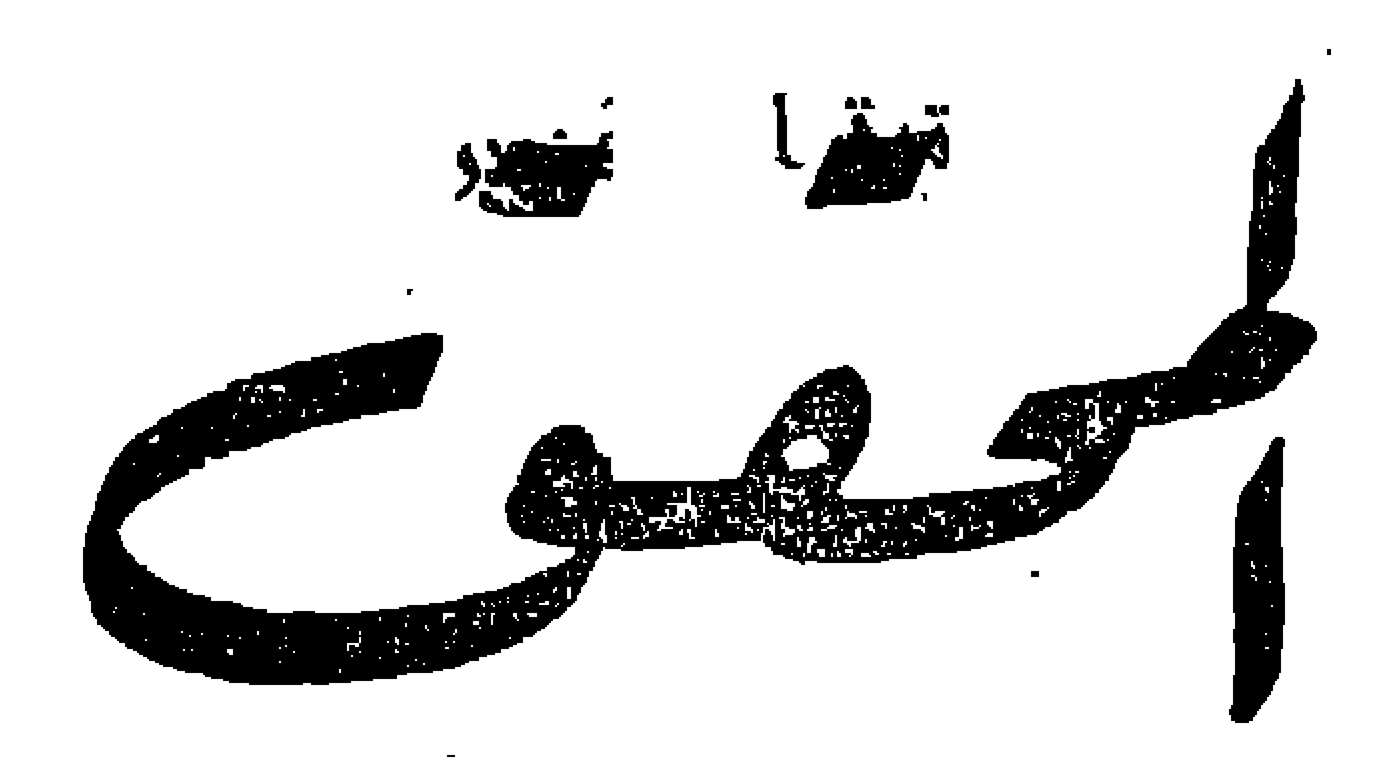

روايات عالمية
المحقق



دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

بالقاهرة

روايات
عالمية
العدد ٤٤٢
١٢ اغسطس ١٩٦٧



قصة فى حوار



روبين شيب



ميشيل كامل



تاريخ موجز لاسطوانة طويلة الأداء

فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٤ نشر السيد جاك جاولد ناقد الراديو والتليفزيون بجريدة النيويورك تايمز ، مقالا نقديا عن اسطوانة طويلة الأداء مدتها ساعة كاملة،معروضة للبيع فى بعض محال الموسيقى بنيويورك . وذكر لقرائه أن هذا التسجيل عبارة عن تمثيلية اذاعية تستغرق ستين دقيقة وتتضمن سخرية سياسية لاذعة ونقدا قارصا «للقناصة السحرة الامريكيين »المعاصرين ، احتوت على قائمة من الممثلين قاموا برسم صورة ثلاثين شخصية مسرحية أو ما يزيد ،كما أستعين بأوركسترا تماثلها ضخامة عزفت مؤلفات موسيقية وضعت خصيصا لها . وقد قام بانتاج التمثيلية خبراء على درجة كبيرة من التخصص والنبوغ . ورغم ذلك لم يجىء ذكر المؤلف والممثلين وصاحب الألحان أو المنتج ، كما لم يستدل على أصل التمثيلية الاذاعية التى لا تحمل من كلمات الا « المحقق » مما يرجح أنه عنوان التمثيلية .

وقد كشف السيد جاولد عن مرجع هذا الغموض وهو أن التسجيل عبارة عن نسخة مختلسة دون تفويض رسمى،

او بتعبير تجارى « مهربة » ، منقولة عن تمثيلية اذاعية كانت قد أذيعت أصلا من المؤسسة الوطنية لمحطة الاذاعة الكندية فى مايو سنة ١٩٥٤ .

وأثنى السيد جاولد فى حماس منقطع النظير على التأليف والأداء والانتاج ، فلم تمض تسعون دقيقة على فتح محال الموسيقى صباح هذا اليوم حتى نفدت بضاعتهم من اسطوانات « المحقق » ، وتراكمت آلاف الطلبات على المزيد منها .

ويصعب الحكم عما اذا كان الدافع على هذا الطلب المفاجىء يرجع الى ما يتصف به الامريكيون من عجز يكاد يكون مزمنا - عن مقاومة اغراء كل ما هو « مهرب » ، ام يعود الى استهجانهم لمساخر لجان التحقيق عامة واشمئزازهم من محقق امريكى بعينه ، وأعتقد أن السبب الاخير هو المرجح والأقرب الى الصواب . وقد كشف السيد جاولد - كما أوضح لقرائه - عن تشابه مذهل فى المواقف والميزات الصوتية بين الممثل الذى ادى دور المحقق ، المجهول - فى الاسطوانة وبين عضو مجلس شيوخ امريكى اكتسب شهرة ذائعة كمحقق فى حياته الواقعية . وقد تنبأ السيد جاولد بأن الاسطوانة « قد تثير ضجة لا يستهان بها فى الجهات الاذاعية والسياسية والدبلوماسية »

وكان السيد جاولد محقا الى اقصى الحدود ، فعند اذاعة التمثيلية لأول مرة فى كندا ، اثارت رد فعل عاصف ، فقد انهالت المكالمات التليفونية على سنترالات مؤسسة الاذاعة الكندية من المستمعين ، معظمهم يمتدح الإذاعة، والقليل منهم

يستنكرونها على أسس سياسية او دينية . كما أن كثيرا من المحادثات التليفونية جاءت من مستمعين حائرين ، اعتقدوا بسذاجة أنهم قد عثروا على اذاعة حقيقية لاحدى جلسات تحقيق عضو مجلس الشيوخ فى دعوى قضائية ، فقد كانت المحطات الرئيسية توالى اذاعتها فى ذلك الحين على الراديو والتليفزيون .

ان المستمع الى الاداء الواقعى الغريب لجون درينى فى دور المحقق المجهول الاسم ، بالاضافة الى روعة انتاج لاندرو آلان ، يتلمس الاعذار للحيرة التى انتابت امثال هؤلاء المستمعين ، رغم انه مما يقتضى قدرا وافرا من السذاجة ان يصدقها أن شخصا باسم سقراط (كما سيكتشف القارىء قريبا) يحقق معه بدعوى النشاط الهدام .

وفى اليوم التالى على اذاعة التمثيلية ثار بعض الضجيج فى الجبهة الدبلوماسية كما توقع السيد جاولد ، فنقصت الحواجب ووجهت الأسئلة فى دار البرلمان الكندى . أكانت الاذاعة مما يتفق مع سلامة الذوق ؟ أيتفق مع واجب مراعاة وحفظ اواصر الصداقة والعلاقات الدولية الطيبة أن تصدر عن محطة اذاعة حكومية تمثيلية تسخر وتهزأ من شخصية مرموقة فى الخصومات السياسية الدائرة فى بلاد تدخل قوة مجاورة صديقة ؟ وكان الموقف محرجا للوزير المختص بشئون الاذاعة فى كندا .

ورغم ذلك فان مواطنى هذه القوة المجاورة الصديقة - وعلى أقل تقدير هؤلاء الذين يعيشون فى الولايات الواقعة على الحدود واستمعوا الى التمثيلية المذاعة من المحطات الكندية القريبة - هؤلاء ابتهجوا بالانصات اليها ، ولم تطرق مخيلتهم

فكرة المطالبة بزحف القوات الامريكية فورا على اوتاوا ، بل على العكس من ذلك ، طالبوا باعادة اذاعتها من المحطات المحلية لكن للأسف تعذر الاستجابة الى هذه الطلبات بسبب أنظمة نقابات الموسيقيين والممثلين الكنديين .

ولم يمض وقت طويل على الاذاعة الكندية حتى بدأ تداول اشرطة مسجلة للعرض الأصلى فى نيويورك، بين العاملين فى صناعة الاذاعة . ولم يعرف بصفة أكيدة كيف تسربت هذه الأشرطة هناك ، لكن سرعان ما راجت تجارة نشطة غير شرعية لهذه التسجيلات على امتداد شارع ماديسون مركز الاذاعات بنيويورك، وبيع بعضها بمائة دولار للشريط الواحد. ومن وراء الابواب المغلقة فى المكاتب المعدة بطريقة لا ينفذ منها الصوت ، راح المشتغلون بوكالات الدعاية والمؤسسات الاذاعية يديرون مفاتيح الصوت ـ مع مراعاة تخفيضه ـ بآلات الاستماع ، وينصتون باستمتاع كبير ـ قد يكون مصحوبا ببعض شعور الاستراق ـ الى تمثيلية اذاعية ، يعتقد معظمهم آسفين أنها قاذعة الخصومة مما لا يسمح مطلقا بتداولها على نطاق واسع فى الولايات المتحدة .

ووصلت بعض الأشرطة الى واشنطون ، وتكرر نفس النموذج من الاستماع فى السر ، مع فارق واحد ، هو انه فى عاصمة البلاد أحكم أعضاء مجلس الشيوخ وموظفو الحكومة اغلاق أبوابهم وضاعفوا الحرص بحكم قربهم من لجنة التحقيق فهى منهم على مرمى السمع .

وكان متوقعا أن تخف الضجة التى آثارها ((المحقق)) لولا تجمع عرضى لعاملين : الفطنة والبراعة الخلاقة المبتكرة التى يتصف بها غالبية رجال الاعمال الامريكيين، الى جانب

الاهمال المعهود فى العديد من الكتاب . فاثناء تداول هذه التسجيلات في نيويورك وقعت نسخة منها بين يدى امريكيين جسودين لاسميهما وقع غريب .. كولكيت وبابرس .وقبل مضى أربع وعشرين ساعة كتبا الى يسالانى عما اذا كان فى استطاعتهما الحصول على حق انتاج التمثيلية بتسجيلها على اسطوانات.ولم يتسلما الرد طوال الثلاثة اشهر التالية التى استغرقتها فى بحث ، توصلت بمقتضاه الى أن الانظمة النقابية تحرم استخدام الاشرطة التى تسجل الاذعات الحية فى الانتاج التجارى ، هذا الى جانب أن القواعد السارية تحتم ابادة التسجيلات بعد ثلاثين يوما من اذاعتها.والواقع أنه ما كان يجب أن تكون هناك أية نسخ منها حينئذ . وخلال الوقت الذى استغرقه جمع كافة هذه المعلومات المكدرة كان خطاب كولكيت وبابرس قد فقد منى ، وبدأت أنسى كل ما يتعلق بالموضوع . ولكن يبدو اننى بخستهما حقهما فى الارادة والحزم ، اذ كان كولكيت وبابرس قد عقدا العزم على وضع التسجيل فى «متناول» آذان عدد كبير من المستمعين فى الولايات المتحدة . وكانت رغبتهما من القوة حتى انهما قررا اصدار نسخة«مهربة»مدركين انه على أسوأ الفروض لن يتعدى الضرر دعوى ترفع ضدهم . لكن مثل هذا الاجراء العنيف لاتدعو اليه الحاجة ، اذ أنهم أضفوا الصبغة القانونية على عملية قرصنة انسانية حازت على الرضا الكامل من المؤلف وكافة المهتمين بانتاج التمثيلية.

وهكذا فان الأدب السياسى الساخر لموضوع اثار الجدل وظاهرة معاصرة للحياة الامريكية تحول الى اسطوانة «ساخنة» لم يسبق لها مثيل . وتخاطف الجمهور الاسطوانات بسرعة تفوق مقدرة كولكيت وبابرس على انتاج سلعتهم المهربة التى

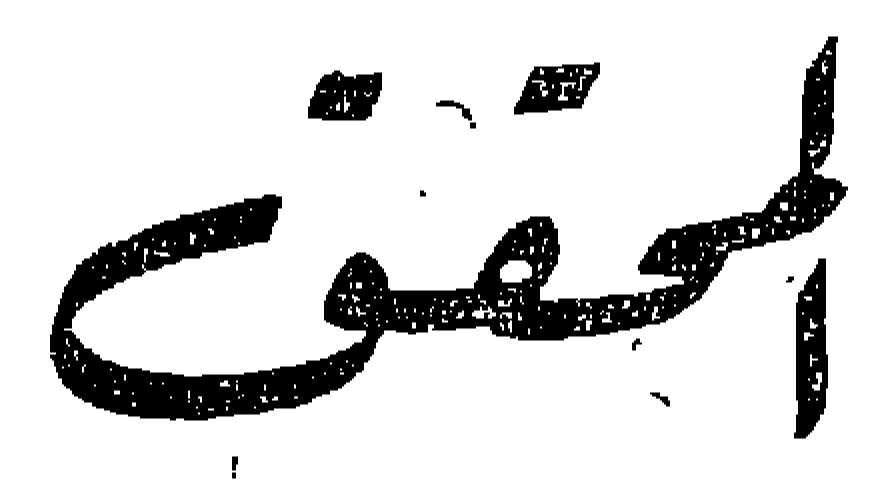
حصلت على صبغة شبه قانونية . وفى الآن نفسه تسابقت شركات أقل مقدرة على طبع تسجيلات عن طريق التحايل على شراء اسطوانة من محل ما وطبع ألف نسخة أو ما يزيد وبيعها للتجار بنصف الثمن . وأصدر القضاء أحكاما تدين هؤلاء القراصنة ونشرت اعلانات استهجان فى الصحف تدعو الجمهور الى التمسك بشراء الاسطوانة الاصلية . وأصبح الاستماع الى الاسطوانة ملهاة مستحبة من الناس ، حتى اعضاء مجلس الشيوخ فى واشنطن فتحوا أبوابهم وضحكوا ملء أشداقهم . وطبقا لما جاء بالنيويورك تايمز رفض متحدث باسم البيت الابيض التعليق على تقارير تقول ان الرئيس ايزنهاور استمع الى الاسطوانة فى جلسة خاصة واستمتع بها ، ووصف التقرير استدعاء الرئيس لأعضاء وزارته الى البيت الأبيض واعلانه لهم فى رصانة برغبته فى أن ينصتوا الى « شيء ما » له اهمية قومية خطيرة ، ثم أدار الرئيس الاسطوانة . وجاء فى تقرير آخر أن احد اعضاء مجلس الشيوخ أوصى محل موسيقى بواشنطن بارسال نسخة من « المحقق » يوميا طوال شهر كامل الى منزل عضو الشيوخ جوزيف ماك آرثى ، ولم تشر التقارير بشيء عن رد الفعل لدى عضو مجلس الشيوخ الكبير المنتخب عن ويسكونسين فى مواجهة نخوة وكرم زميله .

ان شعبية « المحقق » فى الولايات المتحدة تعتبر دليلا كافيا على أن الشعب الامريكى الآن مثل أسلافه منذ ثلثمائة عام فى سالم بماساشوسيت لايرضى عن « قناصى السحرة » لقد شل الفزع حركتهم مؤقتا ، كما حدث لجدودهم فى نيوانجلند . لكن الضحك هو أهم مضادات سموم الشلل

الناتج عن الرعب • وأرجو أن يوافقنى قراء « المحقق » على ان سهام السخرية لم يسأ توجيهها او تتخطى أهدافها .

والنسخة الحالية من « المحقق » لاتعتبر بالضرورة تمثيلية اذاعية رغم أن القصة تسرد وتعرض فى صورة حوار • كما لم تبذل أى محاولة لتحويل التمثيلية الاذاعيـة الى قصة طـويلة ، ولذلك فان أقرب وصف الى الواقع هـو - فى اعتقادى - انها رواية تسرد بالصوت ، ويجب أن تقرأ بالاذن بالاضافة الى العين - لو صح هذا التعبير -

روبين شيب



انطلق رنين التليفون بحجرة الفندق بالطابق الخامس والعشرين فتوقف المحقق مترددا عند مدخل الغرفة ، وأنصت الى طنينه مرات عديدة قبل أن يعود الى داخل الحجرة ويلتقط السماعة .

❁

قال بخشونة : « هالو »

ـ هالو ، أنا مايك جارسون ، لابد لى من التحدث اليك .

فقال المحقق ضجرا :

ـ مايك ، ان طائرتى تتحرك بعد ثلاثين دقيقة .

ـ ولكنى بانتظارك فى صالة الفندق .

ـ لقد استعرضنا الأمر ظهر اليوم يا مايك .

ـ امنحنى خمس دقائق لاغير .

ـ وما جدواها ، فسوف أتابع طريقى ، وأعتقد أنه يسبق لى أن أفصحت عن رأيى بجلاء ووضوح .

ـ ولكنى قابلت اللجنة بعد أن غادرتك .

فقال المحقق بفتور : « اوه »

ـ وكلفتنى بمقابلتك مرة أخرى .

ـ لن يترتب على مقابلتنا أى نتائج مجدية ، مع السلامة يا مايك .

فبادر جارسون الى القول :

ـ انتظر ، لا تقطع المحادثة ، اسمع ، يبدو ألا فائدة من متابعة الحديث تليفونيا ، دعنى أصعد اليك •

ـ اننى فى طريقى الى المطار •

ـ اذن سوف نقطع الطريق معا بالسيارة •

ـ لكن ما الفائدة يا مايك ، لقد أبلغت •••

وتوقف ثم تنهد باعياء قائلا :

ـ أوه حسنا ، قابلنى عند المدخل •

وانطلقت سـيارة الكاديلاك فى طريقها الى المطـار وقد جلس فى مؤخرتها مايك جارسون يتحدث فى يأس وقنوط .

ـ يجب وقف هذه التحقيقات •

فأجاب المحقق ملوحا برأسه :

ـ لقد فات الوقت على ذلك •• حتى لو أردته ، ألم تشهد مدى انتشار الأنباء فى الصحافة •

ـ فى استطاعتك أن تتخيل عذرا ما ! فأنت حجة فى ذلك ، تأجيل ـ مرض ـ أى شىء •

ـ وفر جهدك يامايك •

ـ أأنت على بينة مما سيحدث اذا خرجت مرتكزا على ساق واحدة ؟ •

ـ لقد واجهت تجـــارب مماثلة من قبل ••• بل وأخطر منها •

فأجاب جارسون بصوت يشوبه التهديد :

ـ لكن اللجنة ليست على استعداد لمسايرتك هذه المرة •

فأجاب المحقق ببرود :

ـ أنا أقـوم بادارة اللجنـــة ، وليست هى التى توجهنى •

ـ والحزب ••• أتدير الحزب أيضـا ؟ اذا ارتكبت خطأ واحدا فسوف يتركونك لمصيرك •

ـ انك سـياسى بارع يا مايك ، لكن تقـديراتك جانبها الصواب من قبل •

ـ لست فى مجال تخيل الاحتمالات ، انما أوجه لك انـذارا ، فأنا الآن أتحدث باسـم الحزب ، لقد تماديت كثيرا •

وضحك المحقق وهو يقول :

ـ سبق أن سمعت حديثا مماثلا •

فأجاب جارسون محتدا :

ـ لكن هذه المرة بالـذات فالأمر لا يتعلق بجامعى متحذلق ذى اتجاهات وردية اللون ولا موظف وضيع باحدى الادارات ، بل انسان عظيم الشأن خطير المركز •

فصرخ المحقق غاضبا :

ـ لا يوجد من هو أعظم شأنا .

واكتسب صوته رنة أنين وطابع الرتابة المضجر الذى يدخره عادة للأحاديث والتصريحات فى المؤتمرات الصحفية وهو يضيف الى ذلك قوله :

ـ لا يوجد من هو أرفع شأنا أو أقل قدرا مما يكسبه مناعة ضد التحقيق ، ما دام هنالك أدنى أثر لدليل على تعارض تصرفاته أو معتقداته مع مصالح هذه البلاد .

وتنهد جارسون قائلا :

ـ « هذا النوع من الحديث يصلح للصحافة ، لكن ... »

فقاطعه المحقق بخشونة :

ـ أنا لا أقتصر على الادلاء بأحاديث يامايك ، بل أعنى كل كلمة أقولها ، ولذلك أتابع طريقى ولن تتمكن اللجنة من ايقافى ... لا ، ولا الحزب ، لن يوقفنى شىء .

●

وأغفى المحقق فى الطائرة ، فقد هدأت ثائرته على طنين الموتورات وتنبه فجأة على هدير مرتفع طاحن ، فصوت الموتورات غير منتظم والمضيفة تسرع عبر الممر توقظ المسافرين .

« ارجو تثبيت أحزمة الامان .. ثبتوا أحزمة الامان »

وشخشخ جهاز تكبير الصوت المثبت أعلى باب غرفة القيـادة فترة ما قبل أن يرتفع صوت رجل .

« أرجو أن تعيرونى انتباهكم . هنـا الكابتن جارفيس قائـد الطائرة يحدثكم . لقد قطعنا ثلاث ساعات واثنتين وثلاثين دقيقة منذ غادرنا المطار ، ونحن نطير على ارتفاع عشرة آلاف قدم ، وقد حـدث بعض العطب فى أحد موتورات الجـانب الايمن ، ولانصـرف طبيعة الخلل الحقيقية ، لكن لامبرر للذعر . أكـرر أن ليس هنـالك داع للفزع .

وسرت دمدمة قلقة بين المسافرين ، بينما استمر صـوت قائد الطائرة « لكننا نواجه أعاصير عنيفة ، ونجد بعض المشقة فى المحافظة على الارتفاع ، لذلك قررت العودة ، فهى خير من الاستمرار بموتور واحد مصاب بالخلل ونأسف للتأخير ، لكن هنالك ترتيبات يجـرى اعدادها لكم ، حتى تقلكم طائرة أخـرى بمجـرد بلوغنا الارض ... وشكرا .

استدعى المحقق المضـيفة ، فاتجهت الى مقعـده وبادرها بقوله :

ـ يا آنسة .

ـ نعم يا سيدى ؟ .

ـ كم من الوقت تستغرق رحلة العودة .

ـ نحو أربع ساعات يا سيدى .

ـ وهذا يعنى أننا سنتأخر نحو ثمانى ساعات وربما أكثر ، أريد ارسال برقية .

ـ سوف يكون لديك الوقت الكافى لارسـالها من محطة الوصول يا سيدى .

ـ سيكون الوقت متأخرا للغاية ، سوف أكتب رسالتي وعليك أن تطلبي من الطيار ابلاغها لاسلكيا الى محطة الوصول حيث يقومون بارسالها بدورهم •

واضطرت المضيفة الى التزام الحزم رغم توخيها جانب الاحترام وهي تجيبه بقولها :

ـ أخشى أن يكون ذلك مستحيلا •

فأمرها المحقق بخشونة :

ـ عليك بابلاغ قائد الطائرة •

ـ آسفة يا سيدى ففي ذلك مخالفة لكافة التعليمات، الرسائل الخاصة ممنوعة ••

ـ أتعرفين من أنا ؟

فأجابت المضيفة بعصبية :

ـ نعم يا سيدى ، ومع ذلك فلا مجال للاستثناءات•

فسأل فجأة :

ـ ما اسمك ؟

ـ الآنسة دافيد سون •

ـ يا آنسة دافيد سون ، الرسالة خاصة بتحقيق أقوم باجرائه ، وهو موضوع عاجل للغاية •

ـ أنا لا أشك في هذا ياسيدى ، انما •••

ـ أنت اذن رغم ادراكك لأهمية الرسالة ، ترفضين ابلاغ رغبتي الى الطيار ؟

ـ لكن لا جدوى من ذلك ياسيدى ٠

ـ أتدركين أن هنالك تعليلا واحدا لرفضك يا آنسة دافيدسون ؟

ـ أنا آسفة حقا ياسيدى ، لكن ٠٠٠

ـ يبدو لى أنك تعملين عامدة على عرقلة تحقيق رسمى يمثل أهمية حيوية لكل مواطن في هذه البلاد ٠

فأجابت المضيفة بصوت مضطرب :

ـ كلا يا سيدى ، انما التعليمات ٠٠٠

ـ حقا هنالك تعليمات يا آنسة دافيد سون ولكنك لست أول من يتستر وراء دعوى وجود تعليمات ويتحايل لخدمة مصالح معينة متعارضة تماما مع مصالح الغالبية العظمى من المواطنين المخلصين لبلادنا ٠ ان موقف عدم التعاون الذى تلتزمينه كفيل بالقاء شكوك خطيرة على اخلاصك يا آنسة دافيد سون ٠

وأجابت المضيفة والدموع تكاد تطفر من عينيها !

ـ انما أؤدى مهام وظيفتي ، سوف أحدث الطيار عن رغبتك ، لكن ٠٠٠

وصرخ شخص ما ٠٠

وصاح آخر بهستيرية « النيران تشتعل » ٠

وانفجرت الطائرة ، وانفصل الجناحان ، وانقذفت غرفة القيادة الملتهبة نحو الارض فى عويل صارخ .

تابع المحقق طريقه مخترقا الضباب « انه عاجز عن الرؤية ، أما قدماه فلا وقع لهما • وفجأة سمع صوت شاب •

ــ صباح الخير ياسيدى ، أنا مارتن ، المفتش مارتن بمصلحة الهجرة •

وتساءل المحقق وقد بدا عليه الذهول :

ــ الهجرة ! ماذا تعنى ! أين أنا ؟

ــ كل شىء على مايرام ، فأنت فى أمان الآن ، أرجو أن تتبعنى يا سيدى •

فسأل المحقق :

ــ والى أين نذهب ؟ ان ذاكرتى تخوننى •

ــ ستكون على خير حال بعد لحظات ، فقد أصبت بصدمة سيئة •

وصاح منفعلا فى اضراب :

ــ والطائرة ••• هل تحطمت ؟

فاجاب مارتن بصوت من يقرر حقيقة واقعة :

ــ نعم تحطمت بكم •

فراح المحقق يردد كالمحموم :

ـ أوه أنا حي اذا ، أنا حي أرزق ، لابد لى من ارسال برقية •

ـ لا ضرورة لذلك الآن ياسـيدى ، يحسن بنا أن نسرع فى طريقنا •

ـ ولكن الأمر مهم للغاية •• أهنالك تليفون يمكن استخدامه ؟

ـ لا يوجد تليفون • ياسيدى •

ـ لابد من وجود تليفون فى مكان ما ، وبالمناسبة ماهذا المستنقع ؟ لا أكاد أرى شيئا ، فالضباب كثيف •

ـ سوف ينقشع الضباب حالا ، ولن تعانى صعوبة فى الرؤية بعد لحظات •

ـ وكيف وصلت الى هنا ؟ وأين المسافرون الآخرون؟ كم عدد الناجين منهم ؟

ـ لم ينج أحد ياسيدى •

فتساءل المحقق متشككا :

ـ أتقصد أننى الوحيد منهم ؟

ـ لم ينج أحد •

فسأل المحقق غاضبا :

ـ ماهذا الهذر ؟ عما تتحدث ؟ أمجنون أنت ؟ ها أنا ذا ، أنا حي أرزق ألست كذلك ؟

وتوقف حينا ثم تابع حديثه متوعدا فى صوت بارد :

ـ هلم .. اعطنى ردا صريحا ودعك من الدوران المعنى . أتعرف من أنا ؟

فأكد مارتن بهدوء :

ـ نعم ياسيدى ، بل أعرف كل شىء عنك .

ـ حسنا ، هيا تكلم اذن .

وتكلم مارتن صابرا :

ـ فى استطاعتى أن أطلعك على الحقيقة ، ولكنك حينئذ لن تصدق ، وسوف تبدأ المجادلة .. كل الناس تقريبا تفعل نفس الشىء .. من الأيسر لك أن تكون بنفسك صورة للموقف .

فقال المحقق :

ـ حسنا ، كفى ، ما اسمك ؟

ـ المفتش مارتن من مصلحة الهجرة .

واستمر المحقق متوخيا التزام الهدوء :

ـ حسنا يامارتن ، أنت تدعى معرفتك بى ، اذن فأنت تدرك أهمية العمل الذى أؤديه ، وفى ضوء هذا الوضع فان رفضك التعاون الكامل ـ خاصة منك أنت

بحكم عملك كضابط في خـــدمة الدولة ـ يلقى بظلال قاتمة من الشكوك حول مراميك ، وأؤكد لك أن هذه الحادثة لن تمر دون تحقيق شامل • والآن في استطاعتك أن تخفف بعض الشيء من ثقل مسئوليتك اذا أجبت على أسئلتي بطريقة مباشرة صريحـــة • ان أى محاولة منك لتجنب الاجـابة ســوف أعزوها الى وجـود شيء ما تعمل للتستر عليه ، فلست معتادا على المداورة والمخادعة من صغار موظفي مصلحة الهجرة • والآن ••• لقد كنت بالطائرة عندما تحطمت وها أنا ذا أسألك أين أنا ـ وكيف وصلت الى هذا المكان ، وما مصير باقي الركاب • وأنت تدعى أنه لم ينج أحد •• وأنت ؟ وتوقف فجأة فقد انقشع الضباب •

وقال هامسا « أوه فهمت » •

فأجابه صوت مارتن الرقيق « نعم » •

وشاب صوته التأثر ورثاء الذات •

ـ نعم لقد فهمت الآن ، لكن كان هنالك الكثير مما يجب انجازه ولم أنا ؟ لماذا ؟ كافة خططي ومشروعاتي ••

فأجابه مارتن عاطفا :

ـ انني أقدر شعـــورك ياســيدى ، فكل شخص تسيطر عليه نفس الانفعالات في أول الأمر ، ولكن سرعان مايتخلص منها • والواقع أنه ليس هنـــالك مايستحق الحزن •

ولم ينبس المحقق بكلمة فأضاف مارتن مبتهجا :

ـ وعلى كل حال ، فأنت واحد من المحظوظين فأنت « هنا فوق » • طبعا ليس لديك الا تأشيرة مؤقتة ، ولكنني واثق من أنك لن تلقى أى عناء في الحصول على تأشيرة اقامة دائمة عند الباب الرئيسى !

وتساءل المحقق دهشا :

ـ الباب الرئيسى ؟

ـ نعم ، فأنا أصحبك اليه الآن ، اتبعنى ياسيدى ، سأقدمك لحارس البوابة الرئيسية •

اقتربا من البوابة الرئيسية ، فاذا بالكهل العابس القابع فى محرابه أمام مكتب شبه دائرى يحييهم فى مرارة وبصوت مجهد متذمر •

ـ حسنا ، ألم يحن الوقت بعد ياماراتن ؟

ـ آسف لتأخرى ياسيدى ، فقد تعطلت على الحدود •

ـ أنت دائما تتأخر على الحدود يامارتن ، لماذا لا تصارح المهاجرين مباشرة بمكانهم بدلا من المداورة ؟ لست أجد مبررا لذلك • وعلى كل حال فهم هنا فوق ! وليسوا ! تحت هناك ! ، ليس فى الأمر مأساة •

ـ لقد وجدت من الأفضل أن نتوخى الرقة فى اطلاعهم على الحقيقة ، والتعليمات لا تتعارض مع هذا ، و••

فقاطعه حارس البوابة محتدا :

ــ ولكنني ملم تماما بكل مايتعلق بالتعليمات ، فقد عملت حارسا للبوابة منذ أمد طويل . ياللعجز الجسيم . أنتم أيها الشباب تعتقدون أن مجرد عملكم بالخدمات المدنية يسمح لكم بالتنصل من المسئولية . صدقني .. عندما بدأت حياتي في مصلحة الهجرة كان علينا أن نحرص على الوقوف على أطراف أصابعنا ، لست أدرى ما الدافع لى على متابعة العمل فى هذه الوظيفة ، فالكفاية معدومة والتعاون غير متوفر ويجدر بى أن أتقدم باستقالتى .

وكان حديثه مجرد همهمات وتابع بعناد :

ــ ولكنى لن أتخلى عن منصبى ، لن أهيىء للبعض فرصة التشفي .

وتوقف لحظة ثم سأل بابهام :

ــ حسنا ماذا تريد يامارتن ؟

فبادره مارتن مذكرا :

ــ معى هنا ياسيدى أحد المرشحين .

فأجابه حارس البوابة بسرعة :

ــ أوه نعم ، نعم ، نعم .

وقال مارتن :

ــ هاهو ذا الملف ياسيدي .

وقرأ حارس البوابة :

ـ المتقدم بطلب اقامة دائمة رقم٥٧٨٢٩٣ ـ ٢١٠ب

ثم تساءل من جديد :

ـ وأين هو ؟ أووه ها أنت ذا •

وتابع حديثه عندما لاحظ وجود المحقق :

ـ مرحبا ، مرحبا •

وبدأ المحقق :

ـ ان اسمي •••

ـ نعم ، نعــــم ، أعرف من أنت ، فكافة المعلومات مدونة هنا في الملف ، والآن ماعليك الا التوقيع هنا •• هنا تماما •

واستفسر المحقق :

ـ ماهذه الوثيقة ؟

فقال حارس البوابة :

ـ نموذج استمارة •• طلب دخول واقامة دائمة•• وقع هنا •

ووقع المحقق الوثيقة باستسلام وهو يقول :

ـ ماهى ذى •

فقال حارس البوابة :

ـ عظيم ، عظيم ، سـيصحبك مارتن الى مكان اقامتك •

وتكلم مارتن « من هنا ياسيدى » •

ـ انتظر لحظة ، لماذا نسير فى هذا الطريق ؟ أليست البوابة الرئيسية هى تلك القائمة هناك ؟

وضحك حارس البوابة وهو يقول :

ـ أوه ولكن ليس فى استطاعتك عبورها بعد •

ـ ولم لا ؟ لقد وقعت الوثيقة •

ـ انها لا تعدو كونها طلب تقدمت به ، قبل السماح لك بالمرور من البوابة الرئيسية سوف نجرى تحقيقا معك •

ـ تحقيق ••• معى أنا •

ـ سوف يحقق معك عن طريق اللجنة الدائمة للتحقيق الخاصة بالاقامة الدائمة ••• وأنا رئيسها •

ـ وماذا يحدث اذا لم أحصل على صحيفة صحية نظيفة من لجنتك هذه ؟

وظهر التردد على حارس البوابة قبل أن يجيب :

ـ هذه الحالة تعنى ••• الابعاد •

ـ الابعاد ؟ الى أين ؟

وأجاب الحارس وقد تملكته الدهشة من هذا السؤال :

ــ ماذا ، ترحل الى ! تحت هناك !

وخيم صمت قطعه المحقق اذ قال فى حسم :

ــ أحب أن أقرر فى هذه المناسبة اننى أرفض الخضوع لأي تحقيق يترتب عليه اصدار أحكام تتعلق بى ، بواسطة لجنة قد يكون بين أعضائها من يفتقر الى الكفاية المطلقة .

ــ يا سيدى العزيز ، ما هذا الذى تقول ؟ أتشكك فى أمانة وسلامة اللجنة ؟

ــ لست أرمى الى ادانة أى شخص انما أعبر عن سياسة معينة ــ سياسة تمسكت بها فى الماضى ، ولا أرى مبررا للانحراف عنها فى ظل الظروف الحاضرة .

لكن حارس البوابة تمسك بموقفه قائلا :

ــ لابد من خضوعك للتحقيق .

ــ لكنى لا أثير أى اعتراض فيما يتعلق بالتحقيق ، بل على العكس من ذلك أرحب به ، فسجل حياتى نظيف تماما ، وأنا على استعداد كامل لعرض هذا السجل للفحص أمام أى هيئة قديرة . لكن قبل أن أفعل ذلك ، أرى من حقى الاقتناع بجدارة هذه الهيئة وكفايتها . فاذا أمددتنى بقائمة بأسماء الأشخاص الصالحين لتقلد مراكزهم فى

المحكمة بالاضافة الى قائمة بأسماء المرشحين لينوبوا عنهم في حالة التخلف ، فسوف أبلغك بموافقتي أو اعتراضى فى كل حالة على حدة ، وهكذا يمكن تكوين اللجنة وأنا واثق من أن فى استطاعتنا التوصل الى اتفاق يرضى الطرفين •

ـ ولكن يا سيدى العزيز ، أنت تطلب المستحيل ، فليس من حقك اختيار اللجنة التي تتولى التحقيق معك ، هذا أمر لم نسمح به من قبل ! هنا فوق !

ـ حسنا ولكنه ليس مما لم يسمع عنه حيثما كنت، ولست أرى مانعا من اتباع الاجراءات نفسها ! هنا فوق ! ، لذلك أقترح أن تجتمع اللجنة الحالية فى دورة تنفيذية للتشاور فى الاقتراح الذى تقدمت به اليك •

ـ أنت واحد من الوافدين الجدد ، لن تستطيع الاندفاع الى الداخل متوقعا أن تغير الأوضاع بين ليلة وضحاها •

فأجاب المحقق ملتزما الرقة :

ـ بل لا يخفى على ذلك يا سيدى ، وأؤكد لك أنني لا أرغب فى عرقلة أعمال اللجنة ، بل أرجح مقدما رضائى عن كفايتها وعدالتها ، وكل ما يحدونى الى تقديم هذا الطلب هو كفالة ضمانات تحقق العدالة والانصاف ، ولذلك اعتبر اقتراحى هو عين العقل وأصل الحكمة •

كما اننى لا أحاول بحال من الأحوال مباشرة أى نوع من الضغط عليك أو على أعضاء اللجنة ، ومع ذلك أرجو أن تسمح لى بتنبيهك الى أن رفضك مجرد مناقشة الاقتراح يمكن اساءة فهمه ، وقد يؤدى الى زعزعة الثقة فى استقامة وأمانة بعض أعضاء لجنتك ، لذلك ألتمس منك أن تزن الأمور بدقة وتفكر فى النتائج والاحتمالات والشكوك التى يثيرها رفض اقتراحى .

كان المحقق وحده فى المكان المخصص لاقامته ، عندما دخل الرجال فى صمت .

تساءل صوت مهذب .

ـ أتسمح لنا بالدخول ؟ .

فأجابه المحقق مرحبا :

ـ طبعا ، بالتأكيد .

ـ المعذرة لتطفلنا ، فقد وصلت مع زملائى دون استئذان أو تمهيد ، ولكننا جئنا لمسألة على جانب كبير من الأهمية .

ـ تفضلوا بالدخول ولا تدعوا الكلفة تدخل بيننا .

ـ اننى أدعى أوتس ، تيتس أوتس ، دكتور فى فلسفة ، أعتقد أن اسمى ليس غريبا عليك ؟ .

ـ لا يخفى على بطبيعة الحال ، اننى سعيد حقا

بلقياك ، انها فرصة سعيدة نادرة فقد قرأت عن أعمالك بشغف عظيم يا دكتور أوتيس.

ـ وهذا ما توقعت ، فقد سلكنا سبيلا واحدا في جهادنا .. وكذلك فعل زملائي . أتسمح لي بتقديمهم ؟ هذا السيد الواقف عن يميني يحمل اسما لا أشك لحظة في تعرفك عليه . هل لي أن أقدم تور كيماوا ، مفتش عام محاكم التفتيش الاسبانية ؟

وقال توركيماوا بصوت بارد صارم خال من الانفعال :

ـ لي الشرف يا سيدي .

ـ ان الشرف والبهجة يغمراني ، يسعدني حقا أن أتعرف بك يا سيد توركيماوا .

وتابع اوتس تقديم زملائه :

ـ وهذا أيضا عضو بارز في آه .. مهنتنا ... السيد كوتون ماثر من سالم بما ساشوسيت سابقا .

فردد ماثر بورع وتقوى :

ـ مرحبا بك يا سيدي .

ـ وارتسم السرور على وجه المحقق وهو يقول ببشاشة :

ـ كوتون ماثر ، حسنا ، انني محظوظ حقا .

واستمر أوتيس :

ـ وهذا السيد الى يسارى هو الفقيه الشهير البارون جورج جيفريس .

لم يبد التأثر على المحقق وجاء رده مقتضبا :

ـ كيف حالك يا سيدى القاضي ؟

ـ في خدمتك يا سيدى .

وابتسم أوتيس وهو يتابع حديثه قائلا :

ـ اعتقد أن اسم سـمـوه ليس بمألوف لديك مثل اسمى وأسماء توركيماوا وماثير . لكن شهرة سموه كفيلة بتعرفك عليه فورا هذا لو قدمته اليك باعتباره « القاضى الشناق بمجلس القضاء الدموى « سابقا » .

فصاح المحقق متحمسا :

ـ أوه « القاضى الشـنـاق » .. كان حريا بى أن أتعرف على اسمك ياسيدى القاضى .

فأجاب أوتيس مداعبا :

ـ لا داعى للاعتذار ، فالقليلون يتعرفون عليه .

فقال جيفرس غاضبا :

ـ ليأخذك الشـيطان يا أوتيس ، لقـد سـئمت سخريتك . ان شهرة مجلس القضاء الدموى سوف تعيش أمدا طويلا بعد أن تصبح مؤامرتك البابوية اللعينة فى طى النسيان . يا أيها الذليل البائس أيها الدساس .

ـ أتجرؤ على تلقيبى بالدساس أيها القصاب !

وأسرع توركيماوا بالتدخل قائلا :

ـ يا أصدقائى أرجوكم .. املكوا زمام أنفسكم . واعقلوا ألسنتكم . اننا نعطى صديقنا الجديد صورة خاطئة عنا .

والتفت الى المحقق قائلا « انهم يمزحون » .

وعلق أوتيس على حديثه بقوله :

ـ هذا صحيح ، لا تعر كلماتنا أى اهتمام اذ لا مغزى لها .

وأضاف ماثير :

ـ اننا نعيش فى سلام وحب ووئام أخوى « هنا فوق » وأيده جيفرى قائلا :

ـ تماما تماما .

وقال المحقق باسما :

ـ لا تكلفوا أنفسكم عناء الاعتذار ، اذ يحدث هذا فى أفضل العائلات ، لعلكم سمعتم مايلقبنى به بعض زملائى ! حسنا ان زيارتكم هذه تشرفنى أيها السادة ، لكنى أصارحكم رغم ذلك أن عثورى عليكم « هنا فوق » أصابنى بدهشة الى حد ما .

فأجاب توركيماوا فى ضيق .

ـ أحقا ؟ أتسمح لى يا سيدى أن أصارحك القول بأنه قد انتابنا نحن أيضا نفس القدر من الدهشة اذ لقيناك « هنا فوق » •

وضحك المحقق وهو يقول :

ـ لا شك أن الفضل فى ذلك يعود اليكم ، ولكنى لست بالداخل بعد ، فقد بلغنى أن تحقيقا سيجرى معى أولا • وأحب أن أسألكم رأيكم ، فقد أثرت نقطة مع حارس البوابة فيما يتعلق بـ ...

وقاطعه أوتيس بقوله :

ـ لقد اجتمعت اللجنة فى دورة تنفيذية ورفض اقتراحك •

ـ يبدو أنكم تعرفون الكثير عن اللجنة •

ـ وما الغريب فى ذلك ونحن أعضاء اللجنة •

ـ أحقا ؟ حسنا فلتصبنى اللعنة ... حسنا ما أعجب الأمر انها حقا لمفاجأة •

وقال توركيماوا :

ـ لقد خدمنا بها طوال فترة مديدة من الزمن •

وعلق المحقق على ذلك بقوله :

ـ ليتنى عرفت ذلك من قبل ، اذن ما كنت لأتقدم

باعتراض على اللجنــــة ، أوه ، انني أفترض اذن أن ليس هنالك أية عقبات تعترض طريق دخولي ؟

فأكد له جيفرس :

ـ مطلقا يا سيدي ، فسوف تمنح تأشـــيرة دخول دائمة .

ـ أتكونون أغلبية في داخل اللجنة ؟ .

فأجاب أوتيس بقوله :

ـ نعم ، لكن خدماتنا لا تتعدى النواحي الاستشارية وأضاف توركيماوا :

ـ ان كافة القرارات النهائية من اختصاص حارس البوابة . وتحدث ماثيو في صلف واعتداد قائلا :

ـ ولكننا بطبيعة الحال نلعب دورا كبيرا في التوجيه وفي تشكيل القرارات .

وقال جيفرس :

ـ كما ان حارس البوابة لم يلجأ أبدا الى استخدام حق الاعتراض .

ـ وأنتم أيها السادة أتتفق وجهات نظركم في معظم الأمور ؟

فأجاب توركيماوا بحزم :

ـ بل فى كل الأمور •

وأكد أوتيس :

ـ دائمـــــا •

فعقب المحقق بقوله :

ـ اننى أجد ذلك مثيرا للدهشة ، لا أقصد احراجكم أيها السادة ، لكن يبدو لى الأمر غريبا عند ما أشهد تيتس اوتس عدو البابوية على اتفاق تام مع توركيماوا المؤسس ذائع الصيت لمحاكم التفتيش •

فأجاب أوتيس :

ـ ملاحظتك جديرة بالتقدير ، ولكن « فوق هنـــا » تتغير وجهات النظر للأمور ، فنحن نسمو على خلافاتنا •

وأضاف ماثير :

ـ الواقع اننا أخضعنا خلافاتنا للمصـــلحة العامة ورسمنا لأنفسنا هدفا مشتركا فى مواجهة عدو قوى غادر•

ـ وهذا العدو هو ••• ؟

ـ تحت هناك •

فردد المحقق فى رصانة ووقار :

ـ هم ••• قوة أجنبية !

فأجاب أوتيس :

ـ تماما ، ان غرضنا الأسمى هو ايقاظالعامة البليدة الحس لاظهارهم على الخطر الوشيك الهجوم من الداخل من جانبهذه القوة الأجنبية التي لا تخفى مراميها فى السيطرة المطلقة .

وأضاف توركيماوا متحمسا :

ـ ونعتقد ان تحقيق هذا الهدف على أكمـــل وجه لا يتأتى الا بالكشف عن مدى تغلغل عملاء هذه القوة الأجنبية فى داخل صفوفنا مروجة لمذهبهـــا المدمر ومجندة جهود السذج المخدوعين فى مؤامرة مهولة .

وتساءل المحقق :

ـ لكن كيف تمكنتهذه العناصر الهدامة منالتسرب الى الداخل ؟ هل حددتم مسئولية هـــذا التراخى المذهل الذى يرقى الى مصاف الخيانة ؟ من المسئول ؟

فقال أوتيس :

ـ حارس البوابة .

ـ حارس البوابة ! ان هذا لأشد خطورة مما طاف بمخيلتى ، لكنى أفترض أن لديكم أدلة من نوع ما تثبت قصوره وتفريطه فى تأدية مهام منصبه .

فقال جيفرس :

ـ ان رأيي بعد تمعن ، وباعتبارى خبيرا في أصول الفقه هو أن الأدلة وافرة جارفة .

ـ اذن لماذا سمح له بالاستمرار فى مركزه الحالى الذى يفترض فى شاغله أن يكون جديرا بالثقة ؟

فقال أوتيس :

ـ وهذا يقودنا الى الهدف من زيارتنا ، فمنذ وقت طويل حتى الآن ونحن نفكر فى طرق وأساليب كشف النقاب عن حقيقة حارس البوابة واجباره على الاستقالة ، ولقد ترددنا فى الاقدام على ذلك حتى نعثر على رجل جدير باحتلال منصبه ، وقدومك الينا فى هذا الوقت مناسب للغاية •

ـ يا سادة ، لا شك انكم لا تقصدون •

وتوقف وقد غلبه التأثر ، فأطرق توركيماوا وهو يقول :

ـ لقد قلبنا الأمر على كافة أوجهه • لا شك فى أنك أنت هو هذا الرجل •

فأجاب المحقق متواضعا :

ـ ان الثقة التى أوليتمونى اياها شرف كبير حقا ، ولكننى جديد بينكم ، وأؤكد لكم أن أى واحد منكم أكثر جدارة منى ، فقدخدمتم باللجنة كما أنكم على الماما بالأوضاع السياسية المحلية ، ودراية بالأدلة التى فى متناول أيديكم وقمتم بدراستها •

ورد أوتيس بقوله :

ـ هــذا صحيح ، لكن هنالك عاملا هاما يطغى على كافة الاعتبارات الأخرى ، فنحن على يقين من أننا سنعثر فيك على الرجل الذى يمكنه أن يمد اللجنة بأحدث أساليب التحقيق .

وأفاض توركيماوا فى الشرح :

ـ حقا ، لقد كان كل منا فى عصره لا يضــارع فى مقدرته ، لكننا ندرك أنه منذ تلك الأيام تطورت الظـروف وتم تقدم عظيم ، فنحن بالمقارنة اليك يا سيدى نعتبر مجرد محدثين تفتقر الى التدريب والخبرة ، ونحنى هاماتنا تقديرا لمعارفك وتجاربك العظيمة .

ـ أيها السادة ، اننى عاجز عن انتقاء كلمات تمكننى من التعبير عن مشاعر الامتنان على الشرف المرموق الـذى تضفونه على » .

وسأل جيفرس بحمية :

ـ أتوافق ؟ لم يبق اذن الا مناقشة اســتراتيجية انقلابنا الصغير ... نحن نقترح ...

لكن المحقق قاطعه بقوله :

ـ لحظة واحدة أيها القاضى ، يبدو لى أن مهمتنا هذه لا تخلو من المخاطر .

ـ يجب أن نتوقع اثارة بعض الاستنكار بل ومعارضة نشطة ، لكن ليس بالخطورة التى يصعب تذليلها .

ـ لا أعني المســـتويات الأدنى من الادارة يا سيدى القاضى ، بل كنت أقصد ...

ـ ولم يتابع حديثه ، فتساءل أوتيس :

ـ أتقصد الزعيم ؟

ـ بصراحة .. نعم .

ـ لا تدع الجزع ينتابك من هذه الناحية ، فالزعيم لا يتدخل مطلقا فى مهام ... هى فى واقع الأمر لا يعدو كونها لجنة ادارية روتينية .

ـ أمتأكد أنت ؟

ـ انه لم يتدخل مطلقا من قبل ، فقد كرس الزعيم نفسه دائما لمسائل ذات أهمية كونية ، وفى المرحلة الحالية تشغله مشكلة استخدام الطاقة النووية .

ـ أهى مشكلة « هنا فوق » أيضا ؟

ـ لقد تطورت الى مشـــكلة فى المرحلة الأخـيرة ، خاصة بعد اكتشاف بعض السحب القريبة محملة بالاشعاعات الذرية ، فالزعيم يجاهد للتوصل الي حل ما .

وأضاف توركيماوا الى ذلك قوله :

ـ اطمئن ياسيدى ، فسوف تكون لنا مطلق الحـرية في تحقيق أهداف اللجنـــة ، مادمنـا لا نتخطى الحدود القانونية .

وأطرق المحقق موافقا وهو يقول :

ـ ان ممارستى لأعباء مهمتى يعتمد أساسا على السير باجراءات التحقيق فى نطاق الاطار العام للقوانين الموجودة ، مع التزام مبادىء العدالة والانصاف فى حزم ، وسوف أتابع طريقى هذا .

فسأل أوتيس :

ـ اذن أنت معنا ؟

وتنهد المحقق بعمق قبل أن يمضى فى حديثه :

ـ أعلنكم بكل تواضع أننى قد كرست حياتى وجهودى لمهمة كشف الحجاب والقاء الأضواء وتسليطها على تلك المؤامرة الدنيئة التى تهدد أسلوبنا فى الحياة « هنا فوق » وسوف أنهج هذا السبيل متخطيا كافة العقبات ، غير آبه بمحاولات التهديد والتخويف التى قد يباشرها بعض ذوى المراكز الكبيرة المتضامنين فى المؤامرة ، ولن أحيد عن طريقى حتى أحدد المسئولية لمدى ألف عام من الخيانة ! .

حجرة التحقيق التى تقع خارج البوابة الرئيسية مباشرة وصوت ضربات المطرقة على مكتب حارس البوابة يتردد فى ارجاءالمكان حتى هدأ ضجيج الجماهير الصاخبة .

وأعلن حارس البوابة :

ـ أفتتحت الجلسة فليثبت فى المحضر أن اللجنة

حاضرة بكامل هيئتها . أمامنا طلب مقدم للحصول على تاشيرة دخول دائمة رقم ٥٧٨٢٩٣ ب ٢١٠ هل مقدم الطلب مستعد ؟ .

فأجاب المحقق :

ـ نعم ، مستعد .

فتابع حارس البوابة حديثه !

ـ هنالك مجموعة من القواعد ...

وقاطعه المحقق :

ـ سيدى الرئيس .

ـ تتحكم فى اجراءات ..

ـ سيدى الرئيس

ـ فحص الدعوى ...

ـ سيدى الرئيس

ـ فان هدفنا ...

ـ سيدى الرئيس .

ـ فى هذه اللجنة ...

لكن المحقق تابع مقاطعته فى صوت رتيب :

ـ سيدى الرئيس ... هنالك نقطة تنظيمية ...

فقال حارس البوابة :

ـ كنت فى سبيلى لتعريفك بالقواعد ..

ـ ولـكنى أعتقد ياســيدى أن الأولوية للنقطـة التنظيمية التى أثيرها .

واستمر حارس البوابة فى صبر وأناة :

ـ ان النقاط التنظيمية ـ كما أفهمها ـ تثار عادة فيما يتعلق بالاجراءات ومادمت لم أطلعك بعد على القواعد التى نلتزمها فى هذه الدعوى ، لست أجد مبررا لاثارة نقطة تنظيمية ..

فقاطعه المحقق باعياء :

ـ سيدى الرئيس ... ان النقطة التنظيمية التى أثيرها لا علاقة لها بقوانين الاجراءات ، بل تتعداها الى ما هو أكثر عمقا ... وهو اعتراض شديد سليم اذ يتناول صلب الموضوع وقلبه النابض ... ألا وهو مدى أهلية وجدارة هذه اللجنة للقيام بالتحقيق .

ـ لقد أثرت يا سيدى ...

وصرخ المحقق محتدا :

ـ أرجو الا تقاطعنى .

ـ لكن اللجنة قد فرغت فعلا من مناقشة الطلب المقدم منك ..

ـ يا سيدى الرئيس ، أننى مصمم على السماح لى بمتابعة شرح وجهـة نظرى حتى النهاية ، دون مقاطعة من الرئاسة .

فأجاب حارس البوابة محتدا :

ـ أوه ... حسنا .

ـ حقا أن الاعتراض الذى أثرته فيما يتعلق بتكوين اللجنة ذو طبيعة عامة غير محددة ، ولكنى اليوم على أهبة الاستعداد لتقـديم اتهامات محددة تتناول أهلية عضو بعينه من أعضاء اللجنة للفصل فى قضايا من هذا القبيل سواء كانت خاصة بى أو متعلقة بغيرى من المتقدمين اليها .

وأضاف المحقق متظارفا :

ـ سيدى الرئيس ، أقترح أن تسألنى عن الشخص الذى أعنيه بهذه الاتهامات ؟

فأجاب حارس البوابة مرتبكا :

ـ آه نعم ، نعم ، كنت على وشك سؤالك . ضد من توجه هذه الاتهامات ؟

ـ اننى أوجه اتهاماتى ، التى اذا ثبتت صحتها ، ولا ريب عندى فى ثباتها بصورة قاطعة ... فى هذه الحالة فان عضو اللجنـة الذى يدان بسبب تقصير فى أداء

واجباته يجب أن يعزل من اللجنة . أعتقد أنك تقرنى على ذلك يا سيدى الرئيس ؟

ـ طبعا ، أى عضو يثبت عدم جدارته للخدمة فى هذه اللجنة لن يسمح له بالاستمرار فى عضويتها ، لكنى أرجو أن تفصح لنا عن الشخصية التى تخصها باتهامك

ـ اننى أتهم رئيس هذه اللجنة .. حارس البوابة

وتلعثم حارس البوابة وهو يقول :

ـ أتنسب الى أنا الافتقـــار الى الكفاية ؟ هذا هذا ... هذا اسفاف

فقال المحقق :

ـ سيدى الرئيس ... سيدى الرئيس

ـ هذا سخف .

ـ سيدى الرئيس

ـ وخارج عن النظام تماما

ـ سيدى الرئيس

ـ على مقدم الطلب أن يجلس ..

ـ سيدى الرئيس

ـ وسوف نتابع نظر الدعوى

ـ سيدى الرئيس

فصاح حارس البوابة ضاربا بمطرقته من جديد :

ـ أنت خارج عن النظام

ـ سيدى الرئيس ..

ـ لقد خرجت على النظام .

لكن المحقق تابع مقاطعته فى تصميم :

ـ سيدى الرئيس ، ان أسلوبك فى الفصل غير مقبول ، فلقد صرحت الآن فقط أن أى عضو فى اللجنة تثبت عدم جدارته سوف يعزل أليس كذلك ؟

ـ نعم ، لكن ...

ـ وتصريحك هذا ذو مدلول واضح وهو أن أى اتهامات من هذا القبيل يجب ان تحقق لاثبات صحتها أو زيفها

ـ نعم ، بمعنى أن ...

ـ ورغم ذلك فعندما تدرك أن هذه الاتهامات موجهة ضدك أنت ، ترفض متعسفا مجرد الانصات .. دعنى أستوضحك أمرا .. اكان تصريحك الأول يعد معبرا عن موقف هذه اللجنة فيما يتعلق بطرح اتهامات تدور حول أهلية اي عضو ومن ثم تنحيته عن العضوية فى حالة ثبوت الاتهامات .. ثم وما مدى الجدية فى تصريحك الثانى الذي يتضمن خروجي عن النظام على اثر توجيه الاتهامات

اليك أنت شخصيا ‥ ألا يتعـــارض هذا مع التصريح الأول المشـــار اليه ، أم أنك تهدف من تصريحك الأول ان تستثنى نفسك من مرتبة أولئك الأعضـــاء الذين يحق للمرء توجيه اتهامات اليهم ؟ واذا كنت حقا تعنى هـــذا فما هي السوابق التى تقيم عليها مثل هذا النوع الجائر من الأحكام ؟ .

ــ حســنا ، أنا ، أنا ، أنا لا أفهم ما تعنيه بسؤالك .

فأجابه المحقق وكأنما يوجه حديثه الى طفل :

ــ دعك من هذا ‥ ألا تعلم أنه سؤال بســـيط للغاية . ما مدى صحة تصريحك ، بأن ثبوت الاتهامات بعدم الأهلية يؤدى الى فصل العضو المسئول ؟ .

فتساءل حارس البوابة فزعا :

ــ التصريح الأول ؟ .

ــ أم أنت تكذب ؟ .

ــ أتجزؤ على اتهامى بالكذب ؟ .

ــ اذن فهو صحيح ؟ .

ــ لا شك فى ذلك .

ــ اذن كيف توفق بينه وبين موقفك الحالى ؟ .

ــ انما ما قررته هو ‥

ــ يجب أن تدرك أنهما لا يتفقان ، فيما عدا ‥

بطبيعة الحال لو كنت تعمل عامدا على خلق أثر زائف .

ـ بل أرفض وأنكر ذلك ، كل ما هنالك اننى أقرر الواقع .

ـ يسعدنى أن تبت فى الأمر بصفة قاطعة . اذا كنت حقا كما تدعى تقرر الحقيقة ، فلن يمكنك بل لن تستطيع بأى حال من الأحوال أن ترفض بحث الاتهامات الموجهة ضد أى عضو فى اللجنة بما فى ذلك أنت نفسك .

ـ حسنا .. يبدو أن ...

ـ أنا لا أسألك ما يبدو من وجهة نظرك بل أطالبك بتحديد موقف الرئاسة . أترفض السماح لى بتوجيه هذه الاتهامات ؟ .

ـ لا .. لا .. طبعا لا ، فهذا غير ملائم وأنا أسلم بذلك ، انما اعتراضى قائم على أسس تتعلق بالاجراءات وحدها ، فأنا رئيس اللجنة وانت تقترح التحقيق معى ، ومن الواضح أنه من غير الجائز أن أكون رئيسا و...

ـ بل أوافقك تماما .

وتدخل أوتيس فجأة قائلا :

ـ سيدى الرئيس :

ـ نعم يا دكتور أوتيس ؟ .

ـ اقترح تيسيرا للأمور ومراعاة لأصول اللياقة

أن تتنحى مؤقتا عن الرئاسة ، أثناء عرض هذه الاتهامات على اللجنة ؟ .

وأضاف موجها حديثه للمحقق :

ـ أيرضيك هذا الاجراء ؟ .

وأجاب المحقق قائلا :

ـ ليس لدى أى اعتراض .

فقال حارس البوابة متشككا :

ـ حسنا .. لا توجد سابقة لهذا الوضع ، لكن اذا كفل سرعة البت فى الأمر .. دكتور أوتيس .. أترأس الجلسة ؟ .

ـ انها لمكرمة .

وراح حارس البوابة يدمدم أثناء انسحابه من مركز الرئاسة ليحل أوتيس مكانه :

ـ انه لأمر شاذ حقا غريب حقا .

وقال أوتيس للمحقق :

ـ فلنتابع توجيه ادعاءاتك .

ـ ارجو استدعاء شاهدى الأول .. المفتش مارتن من مصلحة الهجرة .

فتساءل أوتيس :

ـ هل المفتش مارتن موجود ؟ ،

ـ نعم يا سيدى .

ـ تستطيع الشروع فى استجواب الشاهد .

واستهل المحقق كلامه برقة قائلا :

ـ أيها المفتش مارتين ، عندى أسئلة معدودة ، وانا واثق تماما من ان فى استطاعتك الاجابة عليها بسهولة. ألست الضابط الذى قادنى الى مكتب حارس البوابة أمس ؟ .

ـ نعم .

ـ وكنت حاضرا طوال فترة المقابلة .

ـ نعم .

ـ الم يحدث حقا أن حارس البوابة صرح حينئذ بأن هناك عجزا جسيما فى مصلحة الهجرة ؟ .

وتردد مارتن فى الاجابة وهو يقول :

ـ حسنا انه يعنى ..

ـ لست استوضحك ما يعنيه ، بل أرجو أن تحصر اجابتك فى الوقائع وتقتصر على الحقائق . ألم يذكر أن هنالك عجزا جسيما ؟ .

ـ حسنا ، نعم ، هذا ما قاله ، لكن ..

- أليست تلك كلماته بالضبط (عجز جسيم) ..

- حقا استخدم هذه الكلمات لكن ..

- في حديثه عن مصلحة الهجرة التي يرأسها ؟ .

- نعم ، لكن يمكن القول بأن ...

- لسنا في حاجة الى رأيك الخاص .. احصر اجابتك على أسئلتي وحددها .. والآن ألم يصرح في الوقت نفسه بما مضمونه أن طريقة سير الأمور في مصلحة الهجرة تسمح بالتهرب من مسئولية أى عمل يقترفه المرء في هذه الأيام ؟ .

- أعتقد أنه قال شيئا من هذا القبيل ...

- تعتقد ؟ ! أليست هذه هي كلماته بالضبط ؟..

والتهرب من مسئولية أى عمل يقترفه المرء) ،

- حسنا ربما يكون ...

- هيا ، دعك من المراوغة يا مارتين . أحدث أن قالها أم لا ؟ نعم أم لا ؟ .

فأقر مارتن متضررا :

- نعم لقد استخدم هذه الكلمات .

- ألم يصرح أيضا بما مضمونه أن ذاكرته لم تعد كما كانت عليه ، وبأنه يشعر بالعجز عن معالجة حالة

الفوضى التي تسود مصلحة الهجرة وأنه يحس بوجوب تقديم استقالته ؟

أليس هذا صحيحا ؟ .

فأجاب مارتن :

ـ حسنا صحيح الى حد ما .

ـ الى أى حد ؟ لقد اشتكى من الفوضى التى تسود المصلحة ؟ .

ـ نعم .

ـ وعبر عن رغبته فى الاستقالة ؟ .

ـ نعم لقد فعل .

ـ اذن فاجابتك على سؤالى بقولك (صحيح الى حد ما) .

ليست اجابة صادقة تماما ؟ .

ـ حسنا . . اذا أردت أن تصوغها بهذه الطريقة . .

ـ انثى أصوغها كالآتي . . بأن اجابتك عن مدى صدق التصريحات التى أعزوها الى حارس البوابة كان يجب أن تكون بأنها صحيحة تماما .

ـ حسنا أعتقد انها كذلك .

ـ اذن كنت تكذب ؟ .

ـ كلا يا سيدى .. لم أكذب .

فأجابه المحقق مطمئنا :

ـ لا عن عمد أيها المفتش ، ولنعزوه الى الارتباك .

وابتسم فأجابه مارتن بضيق :

ـ نعم ، اعتقد أننى كنت مرتبكا .

ـ أى انك لو أمعنت الفكر فى سـؤالى ـ وتروى فلديك الوقت الكافى للاجابة ـ فسوف تقر بأنها الحقيقة الكاملة الصـارخة وأن حـارس البوابة قد أدلى بكافة التصريحات التى أعزوها اليه .

وتمهل المحقق لحظات قبل أن يتابع حديثه :

ـ أرجو الاجابة على سؤالى .

فأجاب مارتن متلهفا على الخلاص من الموقف :

ـ نعم ، نعم ، نعم ، انه صحيح تماما .

سأل المحقق حارس البوابة :

ـ سيدى ، هـل استمعت الى أقوال الشـاهد السابق ؟

ـ نعم .

ـ أكانت أقواله صحيحة ؟

ـ حسنا ، أحب أن أكون منصفا للمفتش مارتن ..

ـ أعتقد أننا جميعا وحتى الآن قد التزمنا جـانب الانصاف

فشهادته صـــــحيحة فيما يتعلق بحرفية الكلمـات التى استخدمتها ، لكن مغزى •

ـ فى استطاعة اللجنة استنباط استنتاجاتها الخاصة فيما يتعلق بالمغزى •

ـ ربما يا سيدى ، لكن خلاصة الأمر •

ـ خلاصة الأمر أنك استخدمت فعلا تلك الكلمات

ـ حسنا ، نعم لا شك اننى استخدمتها ، لكن •

ـ حسنا جدا ، ما دمت تعترف بأن المصلحة التى ترأسها تعانى من عجز جسيم •

فأجاب حارس البوابة غاضبا :

ـ لكنى لا أعترف بشىء من هذا القبيل •

واستمر المحقق متجاهلا حارس البوابة :

ـ •• أليس محتملا أن بعض العناصر الهدامة قد تمكنت من التسرب « هنا فوق » وحصلت على اقامة دائمة بسبب حالة التفسخ السائدة ؟

ـ بل هو فى حكم الاستحالة ، وأنكره •

ـ أتنكر أنها نجحت فى الدخول بسبب رخاوتك ؟ كيف اذن تمكنت هذه العناصر الهدامة من الدخول ؟

ـ حسنا ، لقد دخلت ...

وسرعان ما أمسك حارس البوابة بزمام نفسه وتدارك ليقول :

ـ أنا أنكر تماما الادعاء بأن أى من هذه العناصر الهدامة قد تمكنت من الدخول . لم يحدث أن ذكرت أنها تسربت ، فالاتهام سخيف اذ لم يدخل أى شخص دون استحقاق ، واللجنة تشهد على هذه الحقيقة .

ـ ان اتهاماتى لا تشمل الأعضاء الحاليين للجنة ، اذ حدث هذا التسرب الاجرامى قبل أن يصبحوا أعضاء بها ، وعلى أى حال فالمسئولية النهائية يقع عبئها عليك وحدك .

ـ حسنا ، نعم .

ـ فاذا كانت بعض العناصر غير المرغوب فيها قد تمكنت من التسلل الى هنا فأنت تقر بمسئوليتك تجاه هذا التسلل ، مسئوليتك وحدك ؟ .

ـ نعم ، ولكنى أنكر مرة أخرى أى احتمال لحدوث شىء من هذا القبيل فكل من يتقدم بطلب عليه أن يمر بنفس اجراءات التحقيق الروتينية المتبعة .

فارتفع صوت المحقق فى هدير غاضب :

ـ اجراءات روتينية ! ألا تعتقد أن المتقدمين من

الهراطقة والخوارج والثوار والكثير منهم من أرباب السوابق خريجي السجون - يستحقون أكثر من مجرد اجراءات روتينية ؟ .

- يا سيدى ، أنا ..

- ألم يكن لزاما عليك أن تلتزم بأكبر قدر من اليقظة والحذر فى حالات من هذا النوع ؟ .

- يا سيدى ..

- وان من واجباتك الرئيسية اخضاع أمثال هؤلاء الأفراد لأكبر قدر من الفحص والتدقيق والتحرى ؟ .

- اننا نتبع نفس الاجراءات فى كافة تحقيقاتنـــا ، وهذا ما أعنيه بالروتين .

- وبمعنى آخر فأنت تقر بأن حالات الأفراد المحتمل قيامهم بنشاط هـــدام تتبع معهم نفس أساليب التحقيق مثلهم كمثل أى متقدم آخر ممن لا يشوب سجل حيـــاته ما يشينها .

- لم أر ضرورة لذلك .

- وما الدافع الذى يحدوك الى تدليل الهدامين ؟ .

- لم نجد دليلا على أنهم هدامون .

- لكنك قررت أن التحقيق معهم كان يجرى بتساهل

وبلا امعان في البحث • أتنكر أن التحقيق لو تم بصورة أكثر شمولا ، لكان محتملا أن يؤدي الى كشف حقـــائق تدمغهم بالانتماء الى قوى أجنبية ؟ أتنكر هذا الاحتمال ؟ •

فأجاب حارس البوابة وقد تملكه اليأس :

ـ وكيف أستطيع الاجابة ••

ـ أتنكر هذا الاحتمال ؟ •

ـ ليس في استطاعتي لا أنا ولا أي شخص آخر أن يجيب على سؤال كهذا •

ـ اذن فأنت لا تنكر هذا الاحتمال ؟ •

ـ طبعا ، لا أســـتطيع الانكار ، لا أنـــكر الاحتمال ولا أقره •

وتابع المحقق الحافه :

ـ هل تستطيع انكاره ؟ •

ـ بغض النظر عن عدد المرات التى تسألنى فيهـــا هذا السؤال فان اجابتى ستكون ••

ـ يا سيدى الرئيس ، ان الشاهد ليس متعاونا ، وأطالب الرئاســـة بلفت نظره الى ضرورة الاجـابة على السؤال •

واحتج حارس البوابة لأوتيس :

ـ انني أحتج أيها السيد الرئيس .. ان طبيعة السؤال ..

ـ من وجهة نظر الرئاسية نرى أن السؤال سليم ، نلفت نظر الشاهد للاجابة .

وبدأ المحقق من جديد :

ـ أتنكر مثل هذا الاحتمال ؟ .

فأجاب حارس البوابة وقد ظهر عليه الاجهاد .

ـ لا أنكره ولا أقره .

ـ ولكنك لا تنكره ؟ .

فأعاد حارس البوابة فى صوت خافت مجهد :

ـ لا .. لا أنكره .

ـ سيدى الرئيس ، السادة أعضاء اللجنة . بناء على اعتراف حارس البوابة بالعجز الجسيم ، وعلى ضوء واقع اقراره عن طريق عدم استطاعته الانكار ـ باحتمال نجاح التسرب الى هنا فوق من بعض الشخصيات الهدامة ، من المرجح أنهم عملاء لقوى أجنبية ، وذلك نتيجة استغلال رخاوة حارس البوابة ، اذا صح اعتبارها مجرد استهتار وليس تدليلا لمثل هؤلاء الأشخاص بل وخيانة متعمدة بهدف تخريب أسلوبنا فى الحياة .. فى ظل هذه الحقائق

يقع على عاتق هذه اللجنة مهمة لا محيد عنها ، الا وهى اعادة النظر فى عدد من الحالات بالتحقيق معهم من جديد بصورة دقيقة وشاملة ويحضرني بالتحديد أسماء بعض الهدامين المعروفين مثل ..

فصاح حارس البوابة :

ـ اننى أحتج على هذه المحاولة العامدة لتشويه سمعة مصلحة الهجرة ، وألح فى طلب متابعة العمل العادى للجنة فورا .

ـ فقال المحقق فى رقة متعمدة :

ـ هل لى أن أذكر حارس البوابة أنه تنحى مؤقتا عن رئاسة اللجنة .

ـ ياسيدى الرئيس ، الام يتابع أعضاء اللجنة السكوت على هذه الأساليب التخريبية ؟

فضرب أوتيس بمطرقته وهو يقول :

ـ ان الرئاسة ترى أنه ليس أمام اللجنة بديل عن اعادة النظر فى عدد من الحالات ، حتى تستبين حقيقة الادعاءات المقدمة ولذلك قررنا ..

وصرخ حارس البوابة محتجا :

ـ لن أشارك فى مثل هذه الأعمال ، بل أتقدم باستقالتى .

وابتسم أوتيس وهو يقول :

ـ اذا كان حارس البـوابة لا يتلمس طريقا مشرفا مفتوحا أمامه غير هذا ..

ـ وهو بالضبط ما أشـعر به .. أنا مستقيل ، أتسمعونني ؟ ... أنا مستقيل !

... مستقيل

❁

قال المحقق

ـ افتتحت الجلسة وليثبت فى المحضر أن النصـاب القانونى من الاعضاء .

حاضر ، وهذه هى الجلسة العلنية الاولى للجنة تحت رئاستى ويؤجل النظر فى كافة الدعاوى المقامة من المتقدمين الجدد مؤقتا حتى تتمكن اللجنة من اعادة فتح باب التحقيق فى عدد من الحالات التى منحت اقامة دائمة ، بينما هنالك مبررات للاعتقاد بوجـود إثباتات تدل على عدم الولاء الواقع والمحتمل . ياسيد أوتيس ، من هــو الشاهد الاول ؟ «سقراط»

شهادة سقراط

ـ أرجو الادلاء باسمك بالكامل لقيده بالمحضر •

ـ اسمى سقراط •

ـ ياسيد سقراط ، مامهنتك ؟ •

ـ فيلسوف •

ـ ياسيد سقراط ، لقد استمعت اللجنة الى شهادة معينة فى جلسة مغلقة ، تدور حول نشاطك • وقد وجهت اليك اتهامات تتضمن أن سقراط هذا شخص غريب الأطوار ، شرير ، يجرى أبحاثا على أشياء تحت الأرض وفى السماء ، ويجعل أسوأ الأمور وأشدها قبحا تبدو وكأنما هى الهدف الأسمى • أتنكر هذا الاتهام ؟

ـ لن أكف عن ممارسة وتعليم الفلسفة مادمت على قيد الحياة ، محتفظا بقواى ، وسوف أتابع ترغيب كل شخص ألقاه فى عقائدى واقناعه بمعتقداتى وآرائى ••

فقاطعه توركيماوا بقوله :

ـ الشاهد يتوخى تجنب الاجابة والتهرب من السؤال وأطالب الرئاسة بأن تأمره بالاقتصار على الاجابة بنعم أو لا •

ـ على الشاهد أن يرد على السؤال • هل الاتهام

صحيح أم لا ! ، واذا كان صحيحا ، أما زلت تمارس نشاطك الهدام ؟

ـ لست أفعل أكثر من التجول بين الناس عاملا على اقناعهم ـ الصغار منهم والكبار ـ بألا يعملوا الفكر فى أشخاصهم أو ممتلكاتهم ، بل يعيروا جل اهتمامهم للتقدم الأعظم لأرواحهم • أقول لكم ان الفضيلة لا تكتسب بالمال، لكن عن طريق الفضيلة تحصلون على المال وكل ماهو خير فى الانسان ، سواء فى حياتكم الخاصة أو نشاطكم العام• تلك هي تعاليمى ، فاذا كانت مما يفسد الشباب فلتعتبرونى مخربا • تلك هى مبادئى ومن يدعى منكم أنها ليست كذلك فانما يدعى كذبا وبهتانا •

ـ هيا دعك من هذا ياسقراط ، ألا تدرك أن هذا الذى تقول ، ليس اجابة على سؤالى ! ، يحق لى أن أوجه اليك انذارا بأنك اذا لم تبد تعاونا وتجيب على السؤال ـ وهو سؤال بسيط للغاية يكفى للرد عليه •• نعم أو لا ـ فليس فى استطاعة اللجنة الا أن تستخلص نتيجة واحدة لا بديل عنها •

ـ سواء أبرأتم ساحتى أم أدنتمونى ، مهما فعلتم بى ، عليكم أن تدركوا أننى لن أحيد أبدا عن وسائلى ، حتى لو كان على أن أموت مرات عديدة •

ـ ياسيد سقراط ، ان عجزك عن تبرئة نفسك من

تهمة الهدم والتخريب ، رغم الفرصة المناسبة التى أتيحت لك لترد الاتهام ، لا تدع مجالا للشك لدى أعضاء اللجنة فى أن الاقامة الدائمة التى منحت لك كانت نتيجة خطأ جسيم • أهناك أسئلة ترغب فى توجيهها يا سـيد أوتيس ؟ » •

ـ كلا •

ـ السيد توركيماوا ؟ •

ـ لا توجد أسئلة •

ـ القاضى جيفرس ؟ •

ـ ليس لدى أسئلة •

ـ السيد باثيير ؟ •

ـ لا أسئلة •

ـ ياسيد سقراط ، لقد قـررت اللجنة تطبيقـا للقسم ١٢٨ المادة ٤ ب البند ٢ من قانون اجراءات الأمن الداخلى أن تسلم الى ضابط مصلحة الهجرة بهدف ترحيلك من هنا فوق الى تحت هناك •

ـ هل الشاهد التالى مستعد ياسيد أوتيس ؟

ـ نعم

شهادة كارل ماركس

ـ أرجو أن تذكر اسمك بالكامل •

ـ كارل ماركس •

ـ ياسيد ماركس ، أقدم لك للاطلاع نشرة كتبهـا المدعو كارل ماركس ، والآن لقد قمت أنت بصـــياغة هذه النشرة أليس كذلك ياماركس ؟

ـ أوه • كلا

ـ أتنكر أنك كتبت هذه النشرة ؟

ـ لا ، لم أكتبها •

ـ ياسيد ماركس ، ألا تدرك أن انكارك لن يجدى هنا ، فنحن نعلم أنك كتبتها ولا جدوى من الانكار •

ـ لا ، لا ، لم أكتبها فلست كاتبا •

ـ أتقول انك لست كاتبا ـ لكنك كارل ماركس ؟

ـ نعم ، لكنى كارل ماركس صانع الساعات •

ـ لحظة واحدة •

وهمس المحقق بشىء ما لاوتيس ثم اتجه الى الشاهد قائلا :

ـ ياسيد ماركس ، يبدو أن هناك لبسا ما فيما يتعلق باستدعاء اللجنة لكارل ماركس الحقيقى • يعفى الشاهد من التحقيق مؤقتا على ألا يغادر القاعة • ياسيد أوتيس الديك شهود آخرون ؟

ـ نعم •

ـ حسنا •

شهادة توماس جيفرسون

ـ ما اسمك بالكامل ؟

ـ توماس جيفرسون

ـ مهنتك ؟

ـ رئيس جمهورية

ـ هل عملت بأى مهنة أخرى ياسيد جيفرسون ؟

ـ كنت فلاحا نبيلا .

ـ هذا ماأعنيه بسؤالى. أليس حقا انك كنت ثوريا نشيطا ؟

ـ ياسيدى الرئيس ..

ـ وانك فى واقع الامر كنت أحد قادة حركة ترمى الى قلب حكومة شرعيـة عن طريق اسـتخدام القوة والعنف ؟

ـ ياسيدى الرئيس ، فى سياق تطور الجنس البشرى اذا حدث أن أصبح من الضرورى لشعب ما ان يقوم بتصفية القيود السياسية التى تربطه ..

ـ دعك من هذا الآن ياتوم ، ولاتتعمد ترويج آرائك بل أقتصر على اجابة السؤال . لاتلجأ الى الخطابة وتجنب المداورة والمراوغة .

واقترح أوتيس :

ـ أيها الرئيس ، ربما كان فى مقدورك ان تجعل السؤال أكثر تحديدا ؟ فكلنا راغب فى انصاف السيد جيفرسون ..

ـ ان اقتراحك يلقى القبول الحسن ياسيد أوتيس .

ـ ياسيد جيفرسون ، أقدم لك للاطلاع تصريحا منسوبا اليك ، جاء في خطاب مرسل الى السيد وليم ستيفنس سميث ، أتسمح بقراءته جهرا ؟

وشرع جيفرسون فى التلاوة من الورقة المقدمة اليه .

ـ « لم يحدث أن انقضى قرن ونصف قرن على أى بلد بلا ثورة ، فشجرة الحرية يجب انعاشها بدماء الوطنيين والطغاة . ذلك هو سمادها الطبيعى » .

ـ أحدث أن صرحت بهذا ام لا ؟ واذا كنت قد

فعلت ، ألا زلت تتمسك بوجهة نظرك وتستصوب هذا الرأى ؟

ـ اذا كان بيننا من يريد تصفية «الاتحاد» ، فلندعه فى مأمن يقف كالنصب يمثل السلام الذى يسود عندما يترك للمحكمة السبل لمحاربة الخطأ فى الرأى عن طريق الاناة والتسامح .

فقال المحقق مبتسما :

ـ أتعمل على خداعنا ياتوم ؟

ثم تابع حديثه وقد تملكه الحماس :

لقد سألتك سؤالا بسيطا . لماذا ترفض التعاون مع اللجنة ؟

أتعترض على نشاطها ؟ ألا تعتقد أن للجنة الحق فى كشف الهدامين من أمثال سقراط ؟ والآن حدد موقفك ياتوم ؟

ينبغى على كل انسان يقدر حرية الضمير لنفسه ، أن يقاوم غزوه فى حالة الآخرين ، اذ قد تتغير الظروف ويصبح حالهم هو حاله . كما ينبغى أيضا فى حالته الخاصة الا يكون مثالا للتهاون عن طريق خيانة الحق العام لاستقلال الرأى ، وذلك بالرد على أسئلة تتعلق بالعقيدة تلك التى تركتها القوانين سريرة بين الله وشخصه .

فتدخل المحقق قائلا بحقد :

أعتقد أن استجواب هذا الشاهد مضيعة للوقت ، الا اذا كان للجنة مزيد من الاسئلة ترغب فى توجيهها . لكن أعضاء اللجنة غمغموا قائلين :

ـ لا أسئلة ... لا توجد أسئلة .

ياسيد جيفرسون لقد قررت اللجنة بناء على القسم ١٢٨ المادة ٤ ب البند ٢، من قانون اجراءات الامن الداخلى أن تسلم الى ضابط مصلحة الهجرة بهدف ترحيلك من هنا فوق الى تحت هناك .

ـ من هو الشاهد التالى ياسيد أوتيس ؟

ـ كارل ماركس

فتساءل المحقق ساخرا :

ـ أهو كارل ماركس الحقيقى ؟

فاجاب أوتيس :

ـ نعتقد انه هو

شهادة كارل ماركس

ألست تدعى كارل ماركس ؟

فأجاب كارل ماركس بصوت تغلب عليه نبرة المانية :

ـ نعم •

ـ اطلع على هذه النشرة ، ألست أنت مؤلفها ؟ •

ـ أوه كلا •

ـ أتنكر ؟

ـ لست كاتبا •

ـ لكنك كارل ماركس •

ـ نعم ولكني كارل ماركس ضابط أوتار البيانو •

ـ هناك سـوء تفاهم •• هنـاك لبس ما ، يعفى الشاهد مؤقتا •

ـ أشكرك •

وقال المحقق ثائرا :

ـ ياسيد أوتيس ، فلنستوضح هذا الالتباس قبل الجلسة القادمة .

ـ ألديك شهود آخرون ؟

ـ نعم •

ـ اذن فلنستمر •

شهادة جون ميلتون

ـ أرجو أن تذكر اسمك بالكامل •

ـ جون ميلتون •

ـ والمهنة ؟ •

ـ شاعر •

ـ هل حدث أن اشتغلت في أى نشاط آخر ياسيد ميلتون ؟

ـ كنت لفترة قصيرة سكرتيرا لاتينيا لجناب الجنرال كروموىل •

ـ لا أظنك تتحرى الدقة ياسيد ميلتون • أليس من الأدق القول بأنك كنت أحد الدعاة الرئيسيين لرجل قاد ثورة دموية أصبح على أثرها ديكتاتورا طاغية ؟ أليس هذا بصحيح يا سيد ميلتون ؟ ألم يكن ذلك هو نشاطك الرئيسى لا الشعر .. لم يكن الشعر أكثر من نشاط جانبى ثانوى ، أليس كذلك ؟ لقد كتبت نشرات سياسية ألم يحدث هذا ؟ .

ـ كنت أحث العصر لنفض أوحاله عن طريق القوانين المعروفة للحرية القديمة عندما حاصرتنى أصوات بربرية للبوم والصقور والحمير والقردة والكلاب •

ـ أشطب هذا الكلام من المحضر • لن يجديك نفعا يا سيد ميلتون أن تسب أعضاء هذه اللجنة .. وها نحن نمنحك فرصة لتبرئة نفسك .

ثم أخذ صوته طابع الملق وهو يستأنف حديثه قائلا :

ـ لماذا ترفض التعاون معنا ياجون ؟ لماذا تعمل جاهدا على حماية هذا الجنرال الوضيع ؟ رجل لطخ لباسه الرسمي بالعار ... اذا كنت قد اضطررت الى كتابة هذه النشرات تحت ضغط أوامر صدرت اليك من كروميل، فسوف ندخل ذلك فى اعتبارنا ، فنحن على الما م بالصعاب الشخصية التى عانيتها من السيدة ميلتون ، وربما كنت محتاجا الى المال ... لا نعنى التدخل والتطفل فى شئونك الخاصة يا سيد جون ، فهذه المحكمة لا تتبع نفس أساليب « محاكم النجوم » التى كانت تعقد على أيامكم . كل مانطلبه منك هو تحديد موقف واضح بكلمات تصدر عنك أنت شخصيا .

ـ هبني الحرية لأعرف وأنطق وأجادل بما يمليه الضمير الذى يعلو على كل الحريات • فرغم هبوط رياح كافة المذاهب لتؤدى رسالتها على ظهر البسيطة ، كذلك الحقيقة تنطلق فى الحقل نفسه ونحن نجرحها عن طريق التحريم والتحديد ، فنثير الشك حول قوتها • فلندع الحقيقة والزيف يتصارعان فمن منكم شاهد الحقيقة

يسوء حالها فى مقابلة صريحة حرة ؟ أن محاجاتها هى أفضل وأضمن وسيلة للقمع ، فليس بعد الله بقدرته من قوة تعلو على الحقيقة ، فهى لا ينقصها التخطيط ولا تفتقر الى الحيلة والترخيص لتصبح ظافرة منتصرة ، بل تلك أساليب يستخدمها الخطأ ضد قواها المتفوقة . افسحوا لها المجال ولا تكبلوها بقيودكم حينما تأخذها سنة من النوم .

ـ حسنا ، لاريب فى موقفك ياميلتون .

ـ وغمغم أعضاء اللجنة رضاء وعلق جيفرى بقوله :

ـ انه يردد نفس العبارات التى جاءت على لسان هذا المدعو جيفرسون .

ـ كل هؤلاء الأشخاص يرددون نفس الأقوال .

فأجاب المحقق وقد نفد صبره :

ـ طبعا يرددون نفس الأقوال ، فهم شركاء فى مؤامرة واحدة .. جون ميلتون .. ان قرار هذه اللجنة المطابق للقسم ١٢٨ المادة ٤ ب البند ٢ من قانون اجراءات الأمن الداخلى يقضى بأن تسلم الى ضابط مصلحة الهجرة بهدف ترحيلك من هنا فوق الى تحت هناك .

ـ هل الشاهد التالى مستعد ياسيد أوتيس ؟

ـ نعم

شهادة كارل ماركس

ـ اسمك كارل ماركس ؟

فأجاب الشاهد بصوت ذليل ولكنة ألمانية :

ـ نعم •

ـ تصفح هذه النشرة ، هل الاسم المطبـــوع على الغلاف هو اسمك ؟

ـ نعم ، اسمى ••• كارل ماركس •

فدوى صوته فى رنين ظافر :

ـ اذن فأنت هو كارل ماركس ، أنت الرجل الذى كتب هذا •

ـ لكن كارل ماركس أجاب فزعا :

ـ أوه لا لا لا •

فتساءل المحقق مؤكدا اتهامه :

ـ لقد سلمت الآن فقط بأن اســـمك على هذه النشرة • أتنكر قولك هذا ؟

ـ أوه كلا بل ان اسمى حقـا كارل ماركس ، ولكنى لست كاتبا انما انا كارل ماركس رئيس صانعى الفطائر.

ـ رئيس الفطائرية ؟! لحظة واحدة ، لقد تماديتم الى

حد بعيد ، فأحـــدكم يا من تحملون اسم كارل ماركس يكذب !

لكن الثلاثة الذين يحملون هذا الاسم صاحوا :

ـ أوه لا •• لا •• لا •

ـ لحظة واحدة •

وتداول المحقق هامسا مع باقى أعضـــاء اللجنة ثم أعلن :

ـ يراود الشك عقول أعضاء اللجنة عما اذا كان كارل ماركس الحقيقي موجودا هنا ، واللجنة تتوخى العدل ولا ترغب فى أن يعانى الابرياء جريرة المذنبين ، الا ان الهدف الأسمى والأعظم هو سيادة السلام وصيانة الأمن ، لذلك قررت اللجنة ترحيل كافة الأشخاص الذين يحملون اسم كارل ماركس من فوق هنـــا الى تحت هناك بمقتضى القسم ١٢،٨ المادة ٤ ب الفصل ٢ من قانون اجراءات الأمن الداخلى •

مقتطفات من محاضر التحقيقات التالية

جون ستوارت ميل :

اذا اجتمعت كلمة الجنس البشرى بأجمعه على رأى موحد ، فيما عدا شخص واحد له رأى مخالف ، فالبشرية كلها لا يحق لها اسكات هذا الشخص الفرد ، تماما كما لا يحق له هو اذا ملك القوة والسلطة ان يسكت الجنس البشرى . اذ لا يمكننا الجزم اطلاقا بأن الرأى الذى نجهد فى اخماده هو الرأى الزائف ، وحتى لو كنا على ثقة من ذلك فان خنقه يظل شرا واثما .

الرئيس « حكمت اللجنة تطبيقا للقسم ١٢٨ المادة ٤ ب الفصل ٢ .. »

فرانسوا مارى أرويت دى فولتير .

« حرية الفكر حياة الروح »

الرئيس حكمت اللجنة ....

مارتن لوثر

ليس من السلامة أو الحكمة الاقدام على عمل يتعارض مع ما يمليه الضمير ... وهأنذا أقف هنا .. لا آتى فعلا غير هذا ..

الرئيس حكمت اللجنة ..

قائمة جزئية بأسماء الاشخاص المرحلين
(من المحضر)

باروخ سبينوزا

توماس بين

جيوسيب جاريبالدى

ڤيكتور هوجو

ابراهام لينكولن

قال واجنر على أثر دخوله :

ــ صباح الخير يالدويج •

ــ صباح الخير ياواجنو •

ــ وكيف حالك اليوم ياجوهان سيباستيان ؟

ــ فى خير حال ، شكرا « وخفض صوته هامسا » :

ــ هل جاءكم خبر ما حدث أمس فى التحـ ••

فقاطعه واجنر :

ــ أرجوك يا جوهان ، تجنب الأحاديث السياسية فنادينا الصغير مكرس للموسيقى وحـدها . فلنجـــر بروفة على الرباعية الجديدة !

فأجاب بتهوفن :

لكن شوبان لم يحضر بعد .

ـ نعم ·· آه ·· أخشى أنه لن يحضر الى هنا بعد الآن ·

فتساءل بتهوفن :

ـ ولم لا ؟

ـ لقد سمحت لنفسي بمطالبته بالاستقالة ·

ـ وكيف تقـدم على هذا العمل ياريتشارد ؟ لقد شاركنا فريدريك فى العزف آجالا طويلة ·

ـ نعم ، نعم ، لقد فعلتها كارها ·· فهو موسيقى عظيم وموهبة جبارة ، لكن ·· فلنكن واقعيين فالاشاعات تدور حول فريدريك ·· لست أصدقها بطبيعة الحـال ... لكنه فى صباه كانت له بعض الاتجاهات السياسية، بل وبعض أسماء مقطوعاته ... مثل « دراسات ثورية!» حسنا ، رأيت فى سبيل تأمين أنفسنا ألا نشترك ... أنت تدرك ... لفترة وجيزة حتى تنقشع هذه الغمامة ... والآن ، الرباعية .

ـ ولكن كيف نعـزف الرباعيـة ؟ ولا يوجد الا ثلاثتنا ؟ ·

ـ لقد دعوت شخصا ما ليشغل مكان شوبان وهو عازف بيانو بارع .. وموسيقى عظيم .

فتساءل باخ !

ـ من ؟ ليست ؟

فأجاب واجنر فزعا :

ـ لا ، لا ، فهو صديق شوبان •

ـ شوبرت ؟ •

ـ أوه كلا ! فقد كان صديقا لليست •

ـ اذن من دعوت ؟

ـ أوتو شمينك !

ـ أوتو شمينك ؟

وقال بيتهوفن :

ـ لم أسمع به من قبل •

ـ وهذا بالضبط سبب اختيارى له ، اذ لم يسمع عنه أى شخص من فبل

قال الحارس :

ـ آسف ياسيدى فهذا الباب مغلق

فاجاب الكهل :

ـ ولكنه معمل ابحاثى ولم يغلق ابدا من قبل

ـ آسف ياسيدى انها الاوامر .

ـ ولكنى اقوم باجراء بحث هام

ـ اوامرى تنص على منع دخولك

ـ لماذا ؟

ـ أنت خطر على الامن .. آسف ياسيد جاليلو

ـ لكن مشروع أبحاثى ..

ـ لقد تكفل به شخص آخر

ـ تكفل به ؟! من ؟!

ـ الاستاذ شمينك .

أنصت الجمهور بشغف وانتباه الى صوت الشاعر .

« أيها القادم الجديد البشوش ، لقد سمعت أنى أسمعك وأبتهج أو ... كوكو ! أأسميك طائرا

أم مجرد صوت حائر »

واحنى الشاعر رأسه ردا على التصفيق الحاد

وأعلن تينسون .

ـ أحب أن أعبر عن امتنانى لك يا سيدى ورودورث لتكريمك حلقة الشعر بحضورك الليلة ، والآن سوف يسعدنا الحظ بسماع بعض القصائد الجديدة التى صاغها ويتلوها الشاعر بيرس بيش شيلى .. احد أئمة ..

وعمل كوليردج على لفت نظر تينسون .

« بش .... بش ... لا ... لا »

فأعرب تينسون عن أسفه للجمهور قائلا :

ـ المعذرة ... لحظة واحدة

ثم انحنى فى اتجاه كوليريدج وتساءل هامسا :

ـ ماذا هناك ياكوليريدج ؟

ـ ألم يبلغك النبأ عن شيلى ؟

وتمتم بكلمات هامسة لتينسون فأجاب الاخير فزعا يائسا :

ـ ياالله ! من غير المعقول .. لم أعرف .. لم يبلغنى أحد .. نعم .. نعم .. طبعا ، اننى مدرك للضرورة .

وسعل بعصبية قبل توجيه حديثه الى الجمهور :

ـ سيداتى وسادتى ، يؤسفنى أن أعان عليكم أن السيد شيلى لن يكون معنا الليلة .. آه ، فى الواقع أن السيد شيلى قد أسقطت عضويته من حلقة الشعر ... وبهذه المناسبة ابلغكم بأن الآراء التى كان السيد شيلى يعلنها خلال عضويته فى حلقتنا لم تكن تعبر أو تعكس وجهات نظر باقى الاعضاء .

وسعل من جديد وهو يستأنف حديثه قائلا :

ـ والآن نتابع برنامجنا .. سنستمع الى عضو جديد بحلقتنا حل محل السيد شيلى ... أقدم لكم الشاعر الملهم ذائع الصيت السيد أوتو شمينك !

قائمة جزئية بأسماء الأشخاص المرحلين
(تابع ماقبله)

جاليليو
برس بيش شيلى
فريدريك شوبان
لدويج فان بيتهوفن
جوهان سيبستيان باخ
ريتشارد واجنر
اوتو شمينك

●

تساءل المحقق !

ـ أهذا أنت يا اوتيس ؟

ـ نعم

ـ حسنا ، تقدم ، تفضل .

فقال أوتيس بعصبية :

ـ لابد لى من التحدث اليك

وقال المحقق :

ـ كنت أراجع قائمة بأسماء شهود الغد ، كلهم من

المغمورين ، أليس فى استطاعتنا أن نؤجج التحقيقات ببعض الأسماء اللامعة ؟ لا أريد أن يسرى الاعتقاد بينهم بأننا ننبش قاع البرميل .

ـ فلنؤجل هذا الحديث .

فتساءل المحقق محتدا :

ـ ماذا ألم بك يا أوتيس ؟ لست على سجيتك ، ماجلية الامر ؟ أهناك مشكلة ما ؟

ـ هناك شخص ما يجب أن تراه

ـ من ؟

استولى الخوف على أوتيس

« أنا .. آه .. أفضل عدم ذكر الأسماء » .

فابتسم المحقق وهو يقول :

ـ شاهد غامض ايه ؟ !! حسنا دعه يدخل .

ـ كلا ، بل يجب أن تتوجه أنت لمقابلته .

ـ ماذا ؟ أتمزح ؟!

ـ أؤكد لك أن الامر ملح وغاية فى الجدية .

ـ حسنا ، سأعتد بكلمتك ، على أن يكون هذا الشخص مهما حقا .

ـ صدقنى انه لكذلك .. هيا بنا ، سأصحبك اليه خارج البوابة الرئيسية مباشرة .

ـ خارج البوابة ! . . أتعنى أنه من المتقدمين الجدد .. قادم جديد ؟

ـ كلا بل أعنى « وتردد فى متابعة حديثه ! » •

ـ اذن لماذا لانتقابل بالداخل ؟

ـ لايمكن . . أرجوك ألا تسأل المزيد فلا أستطيع التحدث عنه هنا فوق . . هيا بنا ! !

ـ أمازالت أمامنا مسافة كبيرة يا أوتيس ؟

ـ بل أى لحظة الآن •

ـ وما هذا الظلام اللعين ؟

ـ لاتستخدم هذه الالفاظ .

ـ لم أعرف عنك مثل هذه الحساسية يا أوتيس ؟

ـ حسنا . . قف هنا

ـ لكنى لا أرى شيئا

فهمس أوتيس «لايهم»

وانبعث من الظلام صرير صوت أجش شرس :

ـ أوقفوا حملات النفى والابعاد ، توقف عن ترحيل هؤلاء المصلحين الجعجاعين الى « تحت هناك » !

ـ لن أعقد أى مساومات فالتحقيقات ستستمر .

ـ ولكنك لاتدرك حقيقةمايحدث ! لقد دعا جيفرسون وميلتون الى عقد الكونجرس ، بينما يلقى مارتن لوثر

وجون ستورت ميل الخطب عن حقوق الملعونين والمنبوذين ويجند كروموبل وتوم بين ميليشيا (حرس وطنى) من الارواح الضائعة . أما هذا المأفون سقراط فيلاحقنى بالسؤال عما اذا كنت أعرف معنى الفضيلة .

ثم انفجر فى ثورة عارمة :

ـ وهذا المجنون كارل ماركس ...

فقاطعه المحقق متسائلا وقد راودته الآمال :

ـ أيهم ؟ أى كارل ماركس ؟ .

ـ وكيف أعرف ؟ هناك المئات منهم منتشرون فى كل مكان ! أتذكر تلك النشرات التى سلمتها لهم أثناء التحقيق؟

لقد أخذوها معهم عند ترحيلهم ، وطبعوا آلاف النسخ منها . أتعرف شعارهم ؟ (ياعمال العالم السفلى اتحدوا فليس لكم من مكان تذهبون اليه الا «فوق» !!) والآن قاموا بتنظيم نقابة وبلغ من وقاحتهم أنهم يريدوننى على التفاوض معهم ، قبل أن أفعل هذا سوف أوردهم..

ـ لقد تأخرت يا أوتيس ، ألا تدرك اننى لا أحب الانتظار ، أيها الغبى الأحمق .

فأجاب المحقق مهتاجا :

ـ لحظة واحدة ، لحظة واحدة ، ان السيد أوتيس عضو فى الهيئة التى أرأسها ، ولاأسمح باستخدام هذا الاسلوب مع عضو فى الهيئة التى أرأسها ، والآن من أنت ؟

ماسمك ؟!

وجاءت الاجابة فى صورة جلجلة ضحكات حانقة .

فردد المحقق فى صوت خافت :

ـ أوه ! .. لقد أدركت .

ثم همس محدثا أوتيس بجانب من فمه :

ـ أوتيس ، يجب أن نتوخى الحذر فى حديثنا ، من يدرى ، فربما يجرى الآن تسجيل هذا الحديث ؟

وعاد الصوت يقول :

ـ أعطيك كلمة شرف . كلمة رجل نبيل الى آخر .

ـ ماذا تريد ؟

ـ يجب أن توقف هذه التحقيقات .

ـ أتصدر لى الاوامر ، يبدو أن هنالك من المآخذ على أوتيس مما يتيح لك الامساك بزمامه ، لكنك لا تتحكم فى لجنتى ، واذا اعتقدت أن فى استطاعتك مباشرة الضغط على ...

ـ ... آ ... ه

تأوه متحسرا ثم أضاف فى رجاء وضراعة :

ـ لاأستطيع التصدى لهذه الاوضاع .. أوقف التحقيقات فلقد أفسدت الامور وزدتها تعقيدا . هنالك أساليب أخرى لانجاز هذه الاشياء .

ـ أتنتقد أساليبى ؟

ـ نعم ! فى المرحلة الأولى ، لم يأخذوك على محمل الجد .. حسنا ! ثم استولى عليهم الفزع ، حسنا ! واحتفظوا بآرائهم لأنفسهم .. حسنا ! وتحاشوا الالتحاق بالنوادى .. حسنا ! ووشوا بأصدقائهم .. حسنا ! لكنك تماديت وأسرفت .. والآن أصبحوا يسألون أنفسهم ـ أأنا القادم؟ ـ وهاهم يتذمرون . ونمت المعارضة .. فكر الام تقودنا هذه الأوضاع ؟

ـ بعد التحقيق القادم ، لن يجرؤ أى منهم على فتح فمه .. لن ينبس أى منهم بكلمة .

ـ ليس فى استطاعتك متابعة هذا الطريق .

ـ بل أستطيع وسأفعل ! فعندما بدأت ، أعلنت أنه لن يهدأ لى بال حتى أحدد المسئولية لآلاف السنين من الخيانة . وسوف أفى بوعدى وأحقق كلمتى فى التحقيق القادم . لم أكن مقتنعا أبدا بأن حارس البوابة وحده هو المسئول عن كل شىء ، فقد أجريت بعض الأبحاث والتحريات الخاصة توصلت عن طريقها الى نتائج لامفر من مواجهتها ، وهى أنه يحمى شخصا ماأعظم شأنا وأرفع مركزا . أصدر الأمر يا أوتيس فورا لتعلنه بحضور الجلسة !

وسأل أوتيس « ضد من ؟ »

ـ ومن تظنه ؟ الزعيم !

وقف المحقق أمام المنصة بغرفة التحقيق . كان عليه أن يصرخ ليعلو صوته على الاحتجاجات الفزعة التى تصدر عن أعضاء اللجنة:

ــ أنا رئيس هذه اللجنة ! وسوف أقرر من الذى يحقق معه !

واعترض توركيماوا :

ــ لكن كان عليك استشارة الاعضاء الآخرين قبل أن تشرع فى ..

ــ لكن اعلان الحضور قد صدر فعلا .

وصاح جيفرس :

ــ اذن فلتلغه !

ــ لاجدوى من متابعة النقاش

وقال أوتيس :

ــ هناك وقت كاف يسمح بابطال ..

ــ لن يلغى اعلان الحضور !

وساد الصمت فجأة قطعه أوتيس اذ قال بصوت فزع خافت :

ــ الزعيم قادم .. أسرع قبل فوات الوقت .

ــ لا .

ــ الغ التحقيق .

ـ لا .

ـ لن تجرؤ على اتيان هذا

فصاح المحقق :

ـ لا ! لا ! لا ! فأمر الاستدعاء سار .

ـ ولكنه جنون !

ـ لن تستطيع التحقيق مع الزعيم !

ـ لقد تماديت حقا !

ـ ليس هنالك من يكسبه مركزه مناعة تحميه من التعرض للتحقيق ، طالما وجد أقل ..

ـ لكن الزعيم هو القوة العظمى .

ـ لاتوجد سلطة أعظم .

فارتفع صوت المحقق هادرا نفاذا :

ـ بل اللجنة هى السلطة العليا ، أنا السلطة العظمى

ـ ولكنه هو الزعيم .

فصرخ المحقق فى هيستيرية :

ـ كلا بل أنا الزعيم ، أنا الزعيم ، أنا الزعيم أنا ..

●

ـ صباح الخير ياسيدى الرئيس .

فأجاب حارس البوابة مبتهجا :

ـ صباح الخير يامارتن ، يوم جميل ، أليس كذلك؟

ـ رائع ، تسعدنى عودتك الى مقر عملك .

ـ شكرا يامارتن ، العودة جميلة حقا . لقد انتهى الامر وفرغنا منه .

وأضاف حارس البوابة منتشيا :

ـ أما الآن فعلينا أن نرفع رءوسنا ونتجه بأنظارنا الى الأمام . سوف ترسم لنا خطة العمل . كافة هؤلاء الذين يجب تغيير محال اقامتهم .. ياالله .. عندما أفكر فى العمل الكتابى المتراكم وحده ..

وتنهد وهو يستأنف حديثه قائلا :

ـ حسنا يجدر بنا أن نشرع فى العمل .. مارتن ، عندى مهمة مسلية لك وأعتقد أنك ستستمتع بها .

ـ عملية انتقال ؟

ـ لا .. بل ابعاد .

ـ ابعاد !

ـ ها هو ذا الملف .. ولنأمل أن تكون آخر عملية ابعاد نقوم بها .

قال مارتن للمحقق بصوت رقيق :

ـ هذا هو طريقنا .. هيا بنا .

ـ أنا الزعيم .. الزعيم .. رد على الاسـئلة .. نقطة تنظيمية .

راح المحقق يردد تلك الكلمات المرة تلو المرة فى صوت رتيب ممل .

ـ أنا الزعيم •• خيانة •• هذا سؤال سهل ••
فلتكن اجابتك نعم أو لا •• أنا الزعيم •

قال مارتن :

ـ اتبعنى •• لا تحمل الواقع أكثر مما يحتمل ••
هذا طريقنا هيا بنا •• لم يبق من الطريق الا القليل •

واندفعت الكلمات متلاحقة غير متماسكة :

ـ أنا الزعيم ـ هنا فوق ـ النفى ـ نقطة تنظيمية
ـ تحت هناك ـ المادة ٢ ب القسم ٤٨ ـ أنا الزعيم ـ
نقطة تنظيمية •

ـ هيا بنا ـ المسافة قربت ـ كدنا نصل ـ •

وجاءه صوت رقيق يحييه دون ماتوقع :

ـ آه أيها المفتش ، كنت فى انتظارك مع الشخص
الذى عهدوا اليك به • اننى أعهد بهذه الأمور عادة الى
أحد مرءوسى ، ولكنى رأيت من الحكمة فى هذه الحالة
بالذات أن أعالجها شخصيا •

ـ أنا الزعيم ـ نقطة تنظيمية ـ أيها الرئيس •

واستمر المحقق دون توقف فى ترديد هذه الكلمات
بينما أخذ مارتن يتلو من وثيقة يحملها فى يده :

ـ بمقتضى القسم ٢٨ أ المادة ٤ ب الفصل ٢ من
قانون اجراءات الأمن الداخلى •

وواصل القراءة متعجلا « أسلمك الآن صاحب

الطلب المرفوض رقم ٥٧٨٢٩٣ ب٠ ٢١ هذا كل ماهناك ،

وأجابه الصوت قد اختنقت الرقة التى اتسم بهـــا حديثه في أول الأمر :

ــ ليس تماما أيها المفتش ، يجب أن تدرك أننى أرفض دخول هذا الشخص ٠

ــ ترفض ؟ ولكنك لا تستطيع الرفض ٠

ــ بل هذا من صميم اختصــــاصى ، وأنا أرفض فعلا ، ألا تدرك أن لى أنا أيضا بعض الحقوق ! ٠

ثم أضاف ضاحكا :

ــ يجب أن يحصل كل ذى حق على حقه ، كما جاء فى المثل ٠

ــ أنا الزعيم ٠٠٠ أنا الزعيم ٠

ــ لكن لم يسبق أبدا أن رفضت قبول شخص ٠

ــ حقا ، هذا صحيح ، ففيما مضى كنت أقوم دائما باعداد استقبال حافل حار لكافة من يرفض طلبهم من مرشحين ، استقبال حار حقا ٠

وأكسب الغضب صوته قسوة وهو يقول :

ــ لكن لن أسمح بأن تطأ قدمه أرض مملكتى ٠ وهو قرار نهائى لا رجعة فيه ، لقد تسبب لى فى متاعب كافية ٠

ــ أنا الزعيم ٠٠ نقطة تنظيمية ٠

ـ لكنى لا أستطيع اصطحابه فى عودتى .. فماذا أفعل ؟

ـ رد على السؤال .. نعم أم لا .

ـ بل يمكن التوصل الى حل بسهولة ، فأنت جديد فى الخدمة على مايبدو لى . لم تألف أنظمتنا كما ألفتها أنا . أقترح أن تلقى نظرة على المادة ٢٥ ج الفصل ٤ ا ؟

ـ المادة ٢٥ ج الفصل ٤ ا ؟

ـ أى نعم .

ـ هاهى ذى .

وقرأ مارتن بصوت جهورى من كتاب الانظمة :

« فى حالة رفض دخول المرشح المعترض عليه الى « تحت هناك » بعد ابعاده ، يعهد الى المفتش المنوب بالمهمة اعادة المرشح المذكور الى المكان الاصلى الذى عبر منه المرشح الحدود » .

ـ تماما . حقا لم يطبق هذا النص من قبل ، لكنى أؤكد أنه قانونى بحت .

ـ نعم ، يبدو أنه مطابق للقانون .

ـ أنا الزعيم .. الزعيم .. جاوب على السؤال ..

فقال مارتن باعياء :

ـ حسنا هيا بنا فأمامنا رحلة طويلة .

ـ لكنه أمر عجيب يصعب تصديقه يادكتور .

ـ نعم حقا ، لكنه الواقع ياسيد جارسون .

ـ والسلطات أهى واثقة من أنه الوحيد الذى نجا من الركاب ؟

ـ لاشك فى ذلك .

ـ غريب ! .. ولم يصب حتى بخدش واحد ؟

ـ كلا فهو سليم تماما .. أعنى ..

وبدأ التردد على الطبيب وهو يستأنف حديثه قائلا :

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أأنت صديق مقرب ياسيد جارسون ؟

ـ نعم ، وهذا سبب حضورى بالطائرة الى هنا بمجرد أن بلغنى النبأ ، ثم وأن هناك بعض الاعتبارات السياسية .

ـ اذن يجب أن تعلم ياسيد جارسون أن الحادث أثر على عقله .

ـ حسنا ، على كل حال فالصدمة ..

ـ وأخشى أن يكون الأمر أكثر تعقيدا اذ أنه يواصل الثرثرة باعتباره الزعيم .. وشىء ما عن «لايوجد من هو أرفع شأنا » وعبارات مثل «هنا فوق» و « تحت هناك » عبارات غير منطقية بالمرة .

ـ لكنه لايلجأ الى العنف .

ـ أوه .. كلا بل مسالم وهادىء تماما .

ـ أهى حالة مؤقتة ؟

ـ يصعب الحكم على ذلك الآن .

ـ حسنا ، على الاقل فهو يعيش .

ـ اننى عاجز عن فهم حقيقة ماحدث .

ـ حسنا ، لاشك أن الصدمة أطاحت به بعيدا عن هيكل الطائرة بينما استعصى الخروج من حطامها على الآخرين .

ـ ياسيد جارسون لقد تحطمت الطائرة على سفح الجبل على ارتفاع آلاف الاقدام ورغم ذلك عثرنا عليه هائما عند « قاعدة الجبل » .

ـ وما الغريب فى ذلك ؟

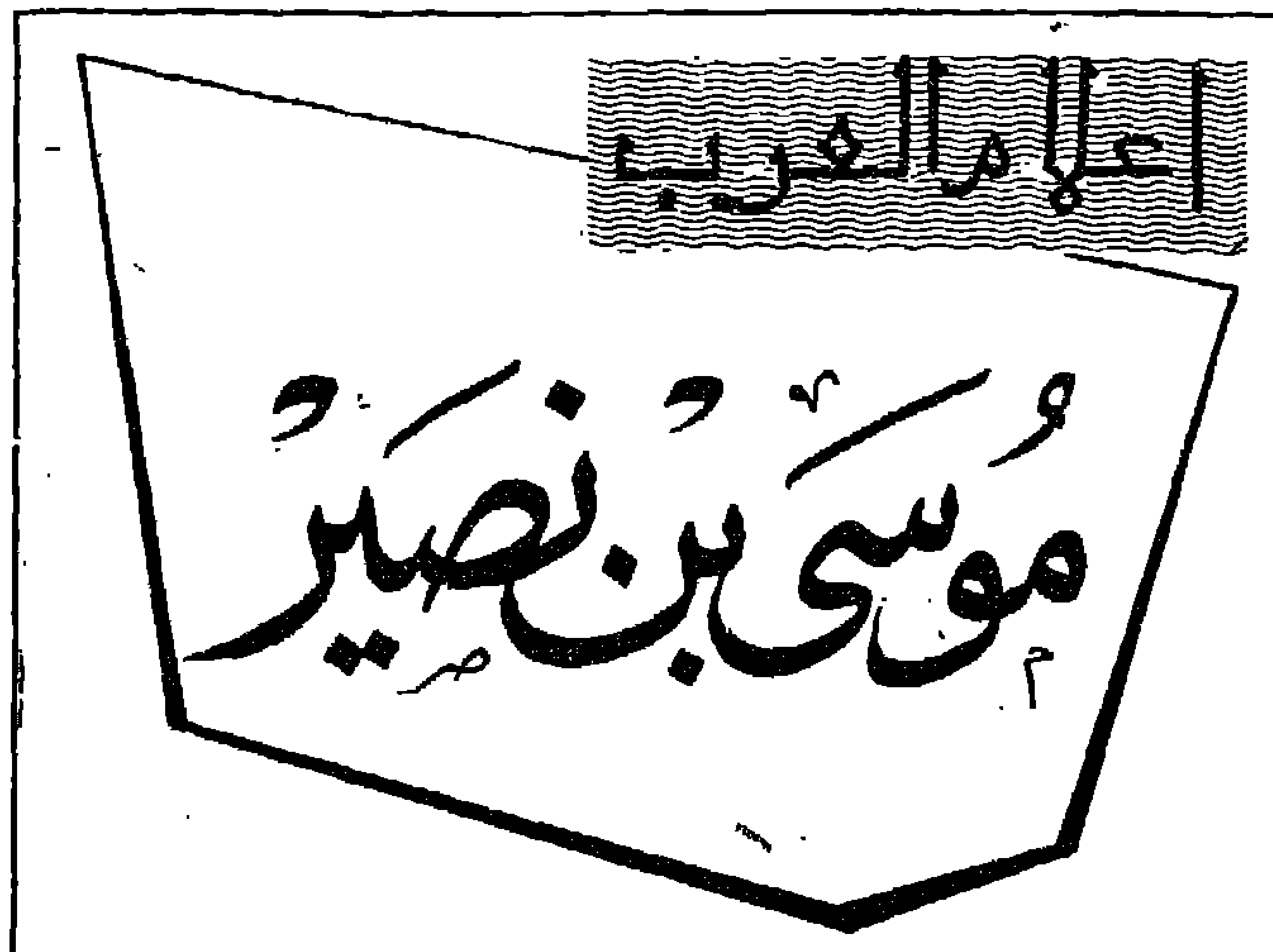
ـ ان السلطات هنا ترى أنه فى حكم الاستحالة أن يبلغ انسان ما بمفرده وفى الظلام قاعدة الجبل .

ـ ولكننا نعلم أنه قام بذلك .

ـ كيف ؟ لا أستطيع الاهتداء الى أى تفسير . أفى استطاعتك أنت ان تفسر هذا الامر ياسيد جارسون ؟

ـ انه من صنع الله يادكتور .. قضاء الهى !





تأليف: د. ابراهيم أحمد العدوى

عدد أغسطس ١٩٦٧م

يتناول هذا الكتاب سيرة مؤسسة المغرب العربي وجهاده فى سبيل تحرير بلاده وبناء صرح الحضارة العربية فى غرب البحر المتوسط

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة

العدد القادم

الخارج على القانون

تأليف جورج سيمنون

ترجمة محمود عبد المنعم

صدر عن

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

الكتب التالية

الأساس الاجتماعي للثورة العرابية

تأليف : رفعت السعيد

تقديم : خالد محي الدين

ص ١٨

بين الطب والاسلام

تأليف : حامد الغوابي

٣٠

الشعر العربي المعاصر

تأليف : عز الدين اسماعيل

٧٠

نفسية العامل ودوران الآلة

تأليف : عبد الله بدر عبد الله

١٥

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة